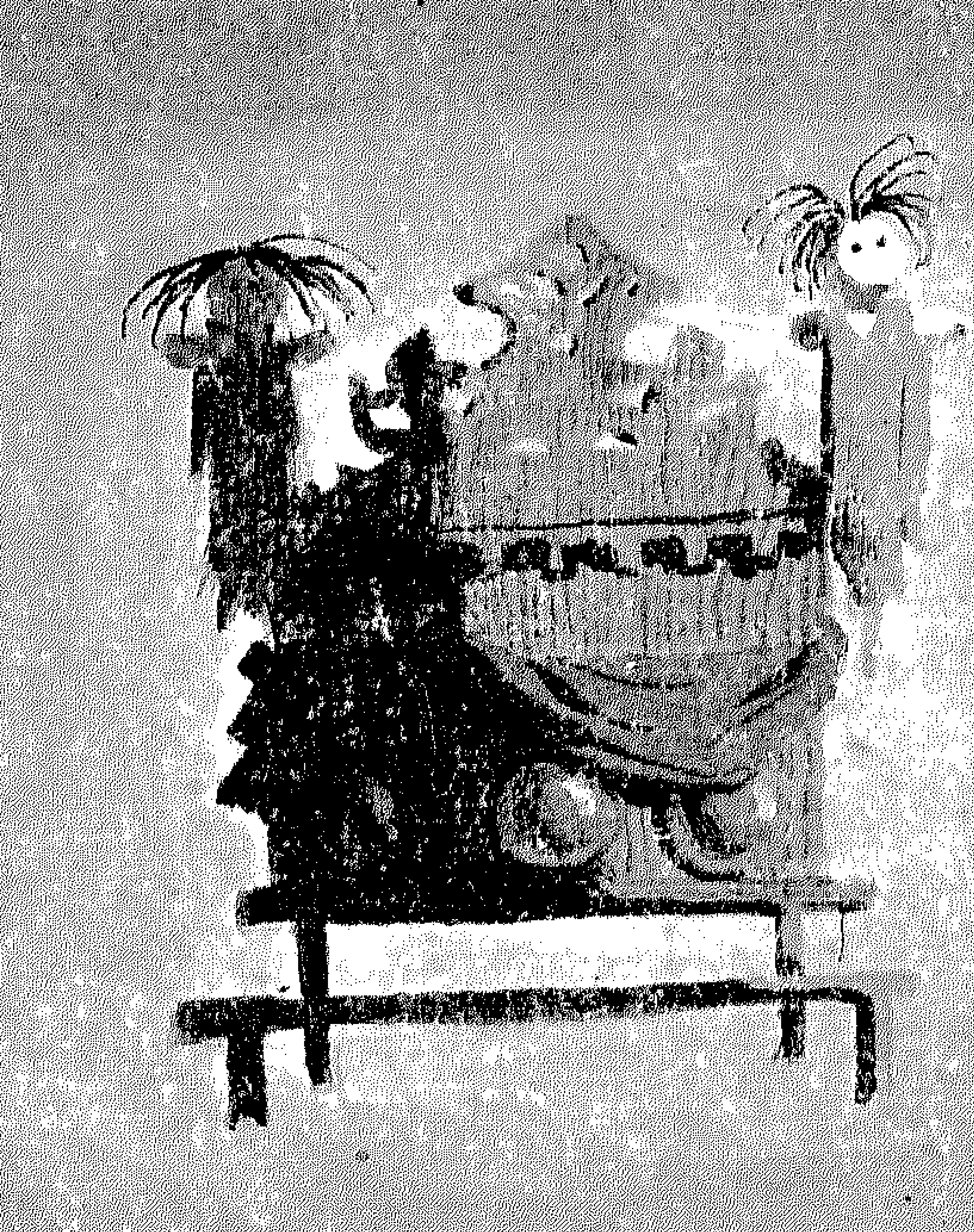
أحمد بهجت

صندوق الدنيا



دار الشروق

إهـــــــداء2006

ورثة الكيميائي/ محمد فاروق الفران

الإسكندرية

صندوق الدنيا

الطبعة الأولى

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني هاتف : ٧٥٤٢٣٤ برقيا : شروق القاهرة - تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ هاتف : ٣١٥٨٥٩ برقيا : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE

أحمد بهجت

صندوق الدنيا

دار الشروق

إهداء

إلى روح الشهيد يوسف السباعى ..

وروح على حمدى الجمال ..

رحمهما الله تعالى

مقدمة

يدين هذا الكتاب بوجوده إلى الأستاذ يوسف السباعى رحمه الله تعالى فقد اقترح جملة اقتراحات لتطوير الأهرام حتى صارت إليه رئاسة تحريره وكان من بينها وجود باب يومى خفيف الظل ييسر على الناس أعباء القراءة الجادة .

وأذكر أنه سألنى عن رأيى فى الكتابة اليومية .

وأذكر أننى قلت له : إننى أعمل فى الأهرام منذ ١٨ سنة - ومنذ سنوات بعيدة وأنا أقترح على الأهرام هذه الفكرة .

قال : أفهم إنك موافق .

قلت له : نعم

قال يوسف السباعى : متى تبدأ

قلت : غدًا إن شاء الله . كان الغد هو أول إبريل سنة ١٩٧٦ ونظرت إلى الفخ فرأيت نفسى داخله ..

كان هذا الباب فخا وقعت فيه باندفاع لا ينقصه التهور - إن مسئولية الكتابة ليومية تعنى أن عليك أن تعثر على موضوع حى كل يوم .. وأن تكتب فيه بإسلوب حى .

قال يوسف السباعى : نريد بابًا بإسلوبك الساحر المميز .

قلت له ـ وقد بدأت أفيق ـ من الصعب أن أعثر على موضوع فكاهى كل يوم .. ثم إننى مصرى أصيل ، والمصريون يميلون إلى النكد هذه الأيام ، فماذا لو انقلب لباب فى يدى إلى الحزن .

قاطعنى قائلاً : أحيانًا يكون الحزن خفيف الدم ..

قلت له : سيميل الباب إلى النقد ، وسيثير كلامًا كثيرًا وربما أغضب بعض الناس أو بعض المسئولين فماذا لو أصبح الباب مثيرًا للصداع ..

قال : أعرف إنك موضوعى ومحايد ولا تنتقد إلا ما يستحق النقد ..

انصرفت من مكتبه مهمومًا أفكر فى تهورى ..

كان كتاب الأبواب اليومية يومئذ هم على أمين (فكرة) أنيس منصور (مواقف) محمد زكى عبد القادر (نحو النور) أحمد رجب (كلمة ونص) .

وكنت أقرأ لهم جميعًا وأعجب بهم جميعًا فقررت ألا أكتب مثلهم .. قلت لنفسى يجب أن أكتب عن موضوعات لا يكتبون فيها ، وبإسلوب يختلف عن أساليبهم .

استهولت أن أنزل إلى الميدان وأجرى بحصانى جوار خيلهم ثم قلت لنفسى لا تخف .. لا داعى للحصان ، سأركب جحشًا لطيفًا وأنزل إلى الميدان معهم .. إذا سبقونى ألقيت اللوم على الجحش .. وإذا سبقتهم ابتسمت متواضعًا وأنا اهتز فوق ظهر الجحش ..

طمأنت نفسى أن هؤلاء الكتاب جميعًا عقلاء . باستثناء أحمد رجب . ولكن جنونه من نوع هادئ ..

لأترك العنان لجنونى يقود ..

وبدأت أكتب ..

أحيانًا كنت أغنى .. وأحيانًا كنت أبكى .. والكتابة عندى لون من ألوان التنفس . والمرء يغنى ويبكى ولكنه لا يتوقف عن التنفس فى الحالتين أحيانًا كنت اختبئ فى عيدان الذرة وأصوب بندقيتى نحو قيمة فاسدة أو موقف مهزلة ..

وأحيانًا كنت أتحدث عن نفسى فأسخر منها ، وأحيانًا كنت أشفق عليها فأبكى وحيدًا لنفسى ..

وأحيانًا كنت أضحك بصوت عال أو أقهقه ساخرًا فى موقف لا يحتمل عند العقلاء أى قهقهة أو سخرية ..

وفهمت من الخطابات التى بدأت تصل إلى أن الناس يتأملون أفكارى بارتياح تشوبه ابتسامة ..

ولم يكن رأى الناس يهمنى كما كنت أعلن . ولكننى ـ فى السر ـ كنت اهتم برأى الناس ..

وقد لاحظت هذا الجانب الطاووسى داخلى فكرهته وقهرته وكنت أوجه لنفسى أقسى أنواع النقد والقهر . إذا خلوت إليها .. وكنت أدرك أن هناك فرقًا بين السخرية والضحك ، أو بين مشرط السخرية وطرطور المهرج ..

ولم أقترب أبدًا من دور المهرج حتى لو كان الثمن هو الضحك والتصفيق ..

كنت أعرف أن الكاتب حارس يقف فى ثغر ما ، ولا بأس أن يكون الحارس خفيف الظل ولكن المأساة أن يتحول عن واجب الحراسة لمهمة الإضحاك .

ولم يكن العثور على موضوع يومى أمرًا صعبًا بالنسبة لى . وإن كنت أعلن أننى أقاسى وأتعب .. وفى الحقيقة لم أكن أتعب . إنما كنت ألعب ..

ولم أكن أتعمد اللعب ..

كنت أنساق مع موجة غامضة داخل نفسى . وأتركها تقودنى إلى حيث توجهها تيارات البحر بكل موجه الذى يتجاوب مع القمر ..

وكنت أستغل كل شىء لخدمة هذا الباب اليومى . وفعلت ذلك بميكيافيللية لا يمكن إنكارها .. كنت أعيش مع الناس ، أتحدث إليهم وأحفر داخلهم بالأسئلة أحيانًا وأحيانًا بالصمت والاستماع ..

وكنت أقرأ الخطابات التى تصل إلىّ . وأفتش فى أخبار الصحف والإعلانات عن موضوع أو مادة ..

وكان ذهني يعمل شريطًا للتسجيل .. وكانت غرفة المونتاج داخل عقلي تعمل حتى أثناء النوم ..

وكان رأيي أن مصر مجال طيب للكتابة الساخرة ، بل إنني غاليت وقلت إنه لم يعد فيها مجال لغير الكتابة الساخرة .

كان المجتمع المصري يغلي بأفكار جديدة وقيم جديدة ومبادئ جديدة .. وكانت تركيبة المجتمع القديم قد تغيرت ودارت العجلة فهبط إلى السفح من كان في القمة وصعد إلى القمة أهل السفوح ..

وكنت أرقب كل شيء وأرى كل شيء وأختزن كل ما أرقبه وأراه ..

وأحيانًا كانت الأفكار تجيئني من كل مكان .. وأحيانًا كانت الأفكار تتواثب داخل رأسي كالقرود القلقة ..

وكنت أطيع كل فكرة لا ترتدي الأقنعة .

وكان أخطر شيء يهمني فيما أكتبه هو الصدق .. والصدق عندي أن يقول المرء ما يعتقد إنه الحق .

وقد راعيت أن أكون صادقًا .. ولم يكن يعنيني أن يغضب أحد أو يرضى أحد ..

كنت أعرف أن الملائكة الموكلة بالإنسان تكتب كل ما يقوله أو يفعله أو يفكر فيه ..

ويحاسب الإنسان على كل ما يقوله أو يفعله ..

والكتابة فعل عند الكاتب ..

هذا يعني أنها ستعرض يوم القيامة ضمن سجل الأعمال . ولا داعي إذن للفضائح ..

وقليل من الصراحة في الدنيا ــ رغم ما يمكن أن تؤدي إليه الصراحة من متاعب ، أفضل كثيرًا من رغد العيش في الدنيا مع سوء المعاملة في الآخرة ..

ولست غبيًا لاستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير..

ولقد كنت أعرف أننى أحاول إحياء فن يكاد اليوم يندثر ـ هو فن الكتابة الساخرة ، وهو فن مصرى قديم حمل لواءه فى مجال النثر الشيخ عبد العزيز البشرى وإبراهيم المازنى ، وحمل لواءه فى مجال الشعر بيرم التونسى وعبد السلام شهاب وأحمد شفيق المصرى ..

ثم آذن هذا الفن بما يشبه المغيب حين تغير المناخ الثقافى وأفسحت الحرية مكانها للخوف ..

وقد حاولت أن أبعث هذا الفن فى كتابتى ، وحرصت أن يتم إحياؤه بشكل عفوى ، فلم أقهر نفسى على الكتابة الساخرة إلا إذا كان الموضوع أصلاً يثير السخرية ..

وقد ساعدنى على نجاح هذا الباب اليومى فى الأهرام أننى بلا شخصية ، والأصل أن على الكاتب أن يتخلى عن شخصيته إذا كان ينوى أن يصير تعبيرًا عن الضمير الشعبى العام .

وبقدر تخلى الكاتب عن شخصيته يكون تمثيل الكافة فى كتابته ..

وقد مرت الآن خمس سنوات على هذا الباب اليومى فى جريدة الأهرام وقد اخترت أن يكون النقد الساخر أو الكتابة الفكاهية هى اللون الغالب على هذا الكتاب ..

ولكننى طعمت هذا اللون الخفيف ببعض آرائى فى السياسة والحياة الاجتماعية ..

وهكذا يبدو الكتاب كأننى أضحك بعين وأبكى بالعين الأخرى ..

وهذه هى سنة الحياة على أى حال ..

فلا الضحك يدوم ولا الدموع تستمر..

أحمد بهجت

يابـنى تغـلب .. يابـنى مهـزوم

يابنى هاشم - يابنى تغلب - يابنى مخزوم - يابنى تميم - يابنى شيبان - نشكو إليكم جميعا قبيلة بنى كلب .. وهى قبيلة عربية جديدة - ولدتها ظروف الصراع وموازين القوى فى العالم العربى .. هذه القبيلة تحاصر ٣٠ ألف فلسطينى فى تل الزعتر .. وقد أرسلت الطبيبة السويدية استغاثة تقول فيها : سيموت من الجوع والمرض بيننا أربعة آلاف جريح و ١٤٠٠ قتيل - نقصت كمية السوائل فى أجساد الأطفال فهم يموتون . يا قبيلة بنى هاشم . يا قبيلة بنى تغلب . يا قبيلة بنى مخزوم .. يا أولاد العم .. يا رجال الشهامة .. يا أصحاب النيران الموقدة على قمم الجبال .. يا من قامت حرب كاملة لأن امرأة أهينت فى عهد المعتصم .. لم تقل أكثر من وامعتصماه .. وبلغت الأنباء الخليفة فسار جيشه لتأديب العصاة ورد كرامة إمرأة مسلمة يا قبائل يعرب وقحطان .. يابنى الهيجاء وعدنان .. قوموا من قبوركم وانهضوا من الموت وتعالوا معا نشهد ما آلت إليه الشهامة العربية والكبرياء العربية والشرف العربى . لقد أطلقت القوات السورية النار «بطريق الخطأ» على الشرف العربى ، وسقط الشرف مضرجا بدمائه حين سقط أول طفل فلسطينى فى تل الزعتر .. ونكست المآذن الدمشقية هاماتها من الخجل - وتحولت كل حمائم الجامع الأموى من اللون الأبيض إلى لون الخيانة - وماتت رائحة كل أشجار الورد فى غوطة دمشق - ولم تعد هناك غير رائحة الرعب الأصفر والخيانة الصدئة .. يا بنى مهموم ومحزون وميؤوس

وحيران .. يا بنى العرب الأشاوس ... إن ٣٠ ألف رجل وطفل وإمرأة يموتون من الجوع ولقد كان فى جبابرة الأرض من يشعل النار فى الأسرى ويجلس لتناول العشاء على لهب الضوء ونغم الأنين .. كان هناك منْ يقتل ضحاياه بالسكين أو البلطة أو البارود أو الشنق . لكن القوات العربية الشجاعة التى تحاصر تل الزعتر قد توصلت إلى حل جديد .. القتل بالعطش والجوع والجراح .. تسمم الجراح يا بنى قحطان وشيبان .. يابنى تغلب وغضفان .. يا بنى متعوس ومحزون وحيران .. لقد تم الاتفاق .. لكل طفل فى تل الزعتر دبابة .. لا يلعب بها وإنما تلعب به الدبابة .

بناة الأهرام

بعد توقيع اتفاق كامب ديفيد .. خطب رئيس وزراء اسرائيل مناحم بيجين خطبة قوية ـ تحدث فيها عن السلام ـ والصداقة ـ والنوايا الحسنة ـ والمشاعر الطيبة .. وقد سمعت الخطبة ـ وأعجبت بأسلوبه فى أدائها .. وقد لاحظت أن مناحم بيجين يرتجلها ارتجالا .. وهذا سبب آخر لزيادة الاهتمام .. ولكننى فوجئت بوقوعه فى خطأ تاريخى يرجع عمره لقرون سحيقة ..

قال مناحم بيجين فى إطرائه للرئيس الأمريكى : «لقد عمل كارتر بشكل أعتقد من خلال معرفتى الخاصة بالتاريخ ـ أنه كان عملا شاقا أكثر من عمل أسلافنا فى مصر الذين بنوا الأهرامات» ..

ومن الحقائق التاريخية الثابتة أن الأهرامات بنيت فى عصر الدولة الأولى فى الأسرة الرابعة «٢٧٢٣ ـ ٢٥٦٣» قبل الميلاد .. أما اسرائيل ـ أو أبناء يعقوب ـ فدخلوا مصر فى عهد يوسف «١٧٨٥» قبل الميلاد .. أى أنهم دخلوا بعد بناء الأهرامات بما يقرب من ألف سنة .. ثم بدأ اضطهادهم بعد وفاة يوسف بما يقرب من خمسمائة سنة «١٢٣٢» قبل الميلاد .. ثم أنقذهم الله ـ تعالى ـ حين أرسل اليهم موسى وشق له البحر وأغرق فرعون وجنوده ..

وهناك خلاف بين العلماء على خروج بنى اسرائيل من مصر .. يعتقد بعض العلماء أنهم هم الهكسوس الذين خرجوا قبل قيام الأسرة الثامنة عشرة .. ويعتقد علماء آخرون أنهم خرجوا أيام الأسرة الثامنة عشرة ..

فقد أشارت رسائل تل العمارنة إلى قوم يعرفون ببدو الخابيرى .. ويرى هذا الفريق من العلماء أن الخابيرى ليسوا سوى قبائل العابيرى أو هم العبرانيون بنو اسرائيل ويرى فريق من العلماء أن بنى اسرائيل خرجوا من مصر فى عصر رمسيس الثانى ومنبتاح .. أى أيام الأسرة التاسعة عشرة .. ويعتقد البعض فى خروجهم أيام الأسرة العشرين «١٢٠٠ ـ ١٠٨٥» قبل الميلاد ..

وينحسر خلاف العلماء فى خروج بنى اسرائيل من مصر بين الأسرة الثامنة عشرة والأسرة العشرين .. ولكن دخولهم مصر جاء بعد بناء الأهرامات بألف سنة .. وهذا شيء متفق عليه .. كيف اشترك أسلاف صديقنا بيجين فى بناء الأهرامات ؟ .. وما هى مراجعه فى ذلك ... ؟

صحيح أن المخرج السينمائى سيسل دى ميل صور بناء الاسرائيليين للأهرامات فى فيلم «الوصايا العشر» ولكن الناس لا ترجع لأفلام السينما حين تتحدث عن التاريخ .. ولا ترجع للإضافات الأسطورية التى لم ترد لها نصوص قاطعة فى الكتب المقدسة أو مراجع التاريخ المحترمة .

إن أسلاف بيجين تعبوا فى مصر . وشقوا شقاء رهيباً أكثر من شقاء الذين بنوا الأهرامات .. هذا صحيح .. وصحيح أيضا أن فرعون مصر عذبهم وكان ظالما يدعى الألوهية .. ولكن هذا كله تم بعد بناء الأهرامات بزمن هائل . يقدره العلماء بألف وخمسمائة سنة .. وربما اختلف العلماء فى ثلاثمائة سنة مثلا .. وتبقى بعد ذلك ألف سنة لا خلاف عليها.. على أى حال .. يبدو أن الرئيس بيجين يحس نحو الأهرامات بشعور خاص نتيجة اعتقاده أن أسلافه هم بناتها .. الحمد لله أن الأهرامات ثابتة فى الأرض ولا يمكن نقلها أو تعتعتها من مكانها بأى حال من الأحوال ..

بقـرة بـنى إسرائيـل

حين أغلقت الأبواب على الوفد الإسرائيلى والوفد المصرى فى مباحثات السلام فى الاسماعيلية ، جلست فى الشمس مع الصحفيين ريثما تنتهى المباحثات وجلس جوارى صحفى إسرائيلى قدم إلىَّ نفسه باسم «شالوم روزنتيف» رئيس تحرير جريدة معاريف الإسرائيلية . بعد أن حدثنى عن نفسه واهتماماته وكتابته سألنى عن نفسى ، وأصغى إلىَّ جيداً وأنا أحدثه عن حبى لسيدنا موسى وكراهيتى لبنى إسرائيل الذين عذبوه وآذوه رغم كل ما فعله من أجلهم . وأوشكت أن أحدثه عن قصة بقرة بنى إسرائيل كما سجلتها فى كتاب «حيوان له تاريخ فى خدمة الأنبياء» .. قبل أن أبدأ القصة جاء من يعلن انتهاء الاجتماع فهرعنا نستطلع الأخبار وافترقنا .. وأحسب أن الوقت قد حان لأكمل حديثى مع شالوم على البعد ..

تبرز لنا القصة صورة لعقلية الاسرائيليين القدامى فى المفاوضات . وترد القصة فى سورة البقرة فى القرآن الكريم ابتداء من الآية ٦٧ .. وتبين مدى العناء الشديد الذى تحمله نبى كريم من أولى العزم الكبار وهو يفاوض بنى اسرائيل .. وتفصيل القصة أن جريمة قتل وقعت فى زمن سيدنا موسى . ويبدو أن خفاء القاتل وأهمية القتيل كانا داعيين لشىء يشبه الفتنة . ولهذا لجأ وجوه بنى اسرائيل إلى نبيهم الكريم موسى ليسألوه عن حل القضية .. ودعا موسى ربه فأجابه الله عز وجل .. وذهب موسى إلى قومه وحدثهم أن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة .

لو كان بنو اسرائيل قوما عاديين أو عقلاء لذبحوا البقرة وانتهى الأمر . ولكنهم تجرأوا على موسى واتهموه أنه يسخر منهم .. (قالوا أتتخذنا هزوا .. قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) وهكذا بدأوا مفاوضتهم باللجاجة والتطاول على النبى الكريم .. ثم عادوا يقولون لموسى (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى) وعاد موسى يدعو الله ويسأله ثم عاد إلى قومه وحدثهم (قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون) هل تعتقد أن المفاوضات انتهت .. هل تتصور أن المناورات انتهت . أبدا .. عاد بنو اسرائيل يناورون (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها) وعاد موسى يسأل الله عز وجل ثم عاد إلى قومه بالجواب (قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) هل تتصور أن المباحثات انتهت .. هل اقتنع المفاوض الاسرائيلى .. أبداً .. عادوا إلى اللجاجة والمناورة . (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون) وعاد موسى يسأل الله عز وجل ، ثم عاد يحدث قومه :

(قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لاشية فيها) .

بعد كل هذا العذاب قالوا لموسى (قالو الآن جئت بالحق) .

كأنه كان يلعب قبلها معهم . وكأنه لم يكن قد جاء بالحق من أول كلمة لآخر كلمة .. أذكر أننى ختمت قصة البقرة بقولى «إذا كانت هذه صورتهم على مائدة المفاوضات مع نبيهم الكريم موسى . فكيف تكون صورتهم على موائد المفاوضات مع غيره ؟» .

كان الله فى عوننا كما كان فى عون موسى عليه السلام .

فلسطين .. ومحاكمات نورمبرج !

سوف تحاكم الأمة العربية يوما مجرمى الحرب الذين يقتلون الفلسطينيين مثلما حاكم العالم مجرمى الحرب فى نورمبرج . وقد حدث فى محاكمات نورمبرج أن سأل أحد القضاة مسئولا[1] نازياً من قادة التعذيب سؤالا بدا غريبا فى الجلسة .. قال القاضى موجها حديثه للمسئول النازى :

حين كنتم تسحبون رجلا من بيته فى منتصف الليل وتقتلونه فى السجن ألم يكن أحد من الألمان يسأل أين اختفى هذا الرجل .. ألم يكن أحد يثور ؟ !

وأجاب مجرم الحرب أن أحداً لم يكن يجرؤ على السؤال . وعلق القاضى وهو يتمتم لنفسه : هكذا خربت المانيا كلها .. والحقيقة أن فى قول القاضى حكمة عميقة ، وهى حكمة تحدث عنها الله تبارك وتعالى منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، حين قال فى القرآن الكريم «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة» ومعنى الآيات الكريمة أن هناك ألوانا من الظلم التى تؤدى إلى عقاب إلهى شامل ، ولا يقعْ عبؤها على الظالمين وحدهم ، إنما يقع العقاب على الذين ظلموا ، وعلى الذين سكتوا وتراجعوا أمام الظلم وجبنوا عن مواجهته وآثروا السلامة .

وورد فى الأثر الشريف قوله «لو لم يأخذ الناس على أيدى الظالم لأوشك الله أن يغرقهم بعقابه» ..

نقول هذا كله بمناسبة أخبار المذابح التى عادت تحصد الفلسطينيين والأبرياء ولسوف أعترف أننى بقلبي مع الفلسطينيين .. لقد عشت معهم عشرين يوما فى أغوار الأردن قبل طردهم من الأردن . وأكلت خبزهم المغموس فى الجوع . ورقدت معهم على الأرض وسط صحارى الضياع وأحراش الموت . وكنا مهددين طوال الوقت برصاص الاسرائيليين الموجه إلى صدورنا ورصاص الخونة والعملاء الموجه إلى ظهورنا . ولقد صادقت عشرات الفدائيين الشباب الذين كانوا يودعوننى بالقبلات قبل حركتهم نحو الأرض المحتلة وتمر أيام ويجىء من يجىء ليقول لى : هل تذكر البهبهانى . هل تذكر السعسعاوى . هل تذكر أبو خالد لقد استشهدوا جميعا فالبقية فى حياتك . ولقد كانت هذه البقية عبئا على حياتى ودموعا مريرة تشبه قطع الزجاج التى تجرح حلقى وتخنق كل ما يختلج فى صدرى من فرحة الحياة . ولو كنا نريد أن نتحدث عن الصدق فلنتحدث عن الفدائيين الفلسطينيين . وليس هناك أصدق ممن يموت من أجل حلم اسمه فلسطين ولقد كان موت الآلاف كفيلا باستيقاظ الحلم وتحوله إلى حقيقة ..

والذين يرفعون سيوفهم ويحزون رأس فلسطين اليوم يقتلون حلم الأمة العربية فى غدها الأفضل . ويذبحون الجزء الثائر النبيل فى هذه الأمة . وهذه جريمة يجب أن نقف جميعا ضدها ونصرخ فى وجهها ونقاومها ونضربها قبل أن تؤدى مهمتها العالية المرسومة ولئن تراجعنا أو استسلمنا للجبن فسوف يعم العقاب الإلهى جميع الأمة العربية .. ولشد ما نرجو أن نتحرك قبل أن يفوت الوقت .

٢٩ نـوفمبر

٢٩ نوفمبر سنة ١٩٨٠

هذا هو اليوم العالمى للتضامن مع الشعب الفلسطينى .. أى ان العالم يحتفل اليوم بذكرى ميلاد اعظم الجراح الانسانية فى عصرنا . وليس جديدا أن يحتفل السكين بالجرح الذى كان سببا فى نشوئه ، ولقد كان العالم سببا فى مأساة فلسطين وصحيح اننا قدمنا الجسد من عندنا وقدم العالم سكينة . وصحيح أن صدر فلسطين كان عاريا وبلا دروع كالسوسنة ولكن الصحيح ايضا أن تواطؤ القوى الكبرى فى العالم وضعف العرب كانا سببا فى تشريد الشعب الفلسطينى وميلاد القضية الفلسطينية ..

ومن المستحيل اليوم ان نبرر حل مشكلة اليهودى التائه بخلق مشكلة الفلسطينى التائه كما انه من غير المنطق تبرير اضطهاد الفلسطينيين باضطهاد اعداء السامية للشعب اليهودى لان الفلسطينيين والعرب والمسلمين ليسوا من اعداء السامية ، انما هم ينحدرون من نسل سام كاليهود .. وكل ما يساق من تبريرات لتقنين الجرائم التى ارتكبت فى حق الشعب الفلسطينى أمر مرفوض . وسيظل الصراع قائما مادام حق الشعب الفلسطينى مغتصبا ..

وليست هناك طريقة لضمان أمن اسرائيل وحقها فى الحياة أفضل من منح الشعب الفلسطينى حقوقه ، وبغير ذلك لن نضمن ابدا ما يمكن أن يعتمل فى نفس شعب حرم حقه من كل شىء باستثناء اليأس الذى يغلق جميع الابواب ويترك باب العنف وحده مفتوحا ..

ماذا نقول فى يوم التضامن مع الشعب الفلسطينى ..

ان الوقوف على ابواب الحزن سهل ، والبكاء على الاطلال تقليد عربى قديم حان الوقت لاستبداله بما هو أفضل من الدموع ..

وفى تصورى رغم كل الغيوم التى تعبر سماء القضية الفلسطينية وتحجب عن الفلسطينيين خيوط النهار ومذاق الشمس .. فى تصورى رغم كل شىء ان الأمل قائم ويزيد ..

وعلى مستوى العالم الخارجى ادرك الرأى العام أن الفلسطينيين هم الضحية لا الجانى ، وهم الجرح لا السكين ..

وعلى مستوى الشعب الفلسطينى رحل آلاف الشهداء منذ بدأت الثورة الفلسطينية وكان كل شهيد يمضى يترك جزءا من ابتسامته للرياح وبعض دموعه للغيوم وقطعة من قلبه للأرض .. نحن اذن نتنفس هواء يذكرنا بالمأساة .. ونشرب مياها تختلط بدموع شعب عظيم ، وسنظل نقف مع هذا الشعب حتى يحصل على حقه ..

يؤيدنا الله .. والتاريخ .. وأمل الانسان .

علم فلسطين

اليوم تفتح سفارة إسرائيل فى حى من أحياء القاهرة ، واليوم أرفع فى قلبى علمًا لفلسطين ، لا أضعه فى شارع من شوارع قلبى وإنما أضعه فى الميدان الرئيسى فيه .

وليست عندى كراهية ـ فى حد ذاتها ـ للعلم الإسرائيلى الذى يرتفع فى مدينة القاهرة .

إذا كان هذا علم سيدنا داود فرحبًا بسيدنا داود ، نحن نؤمن به ونحبه ونغبطه على معرفة منطق الطير ولغة الحيوان .

ولقد كان وجدانى معه وهو يصارع جالوت ، ورف قلبى ـ قبل أن يخلق ـ مع يده التى أطلقت الحجر نحو عدوه ، إذا كان علم إسرائيل هو علم سيدنا موسى فأهلاً بسيدنا موسى .. هذا كليم الله ونبيه وحبيبى وسيدى الذى انحزت بقلمى معه فى صراعه ضد فرعون ، رغم أن فرعون مصرى وموسى يهودى ، لم أقف مع عصبية الأرض أو العرق وإنما وقفت مع الحق الناصع الذى يحمله موسى ويمثله ويدعو إليه .

وإذا كان هذا علم سيدنا يعقوب فرحبًا بيعقوب الكريم الذى كانت قضيته وهو يموت وشاغله الأكبر هى وصيته لأبنائه أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئا ..

وإذا كان هذا علم سليمان فمرحبًا بملك بنى إسرائيل ونبيهم . ومرحبًا بمن أتاه الله ملكًا لا ينبغى لأحد من بعده ..

ولكن إذا كان هذا العلم رمزًا لاغتصاب حقوق الشعب الفلسطينى فإننى أعتذر عن الترحيب به ..

ولست ضد السلام كإنسان .. ولست ضد اليهود كبشر .. إننى أؤمن بالسلام وأؤمن أنه اسم من أسماء الله تعالى . وأؤمن بإخوة النوع الإنسانى فكلنا لآدم . وآدم من تراب .. ليست هذه هى القضية ..

القضية الحقيقية أن هناك علمًا فلسطينيًا نرفعه فى قلوبنا انتظارًا لرفعه فى أرضه ..

هذه هى القضية باختصار ..

وإلى أن يحصل الشعب الفلسطينى على حقه .. سيظل موقفى من العلم الإسرائيلى هو التحفظ بمشاعرى الخاصة .. وللعلم .. ترفع مصر علم فلسطين على الجامعة العربية . ولسوف نظل نحلم برفعه فى الأرض المحتلة .

أحـزان القـــدس

ليست هناك مدينة فى الدنيا تبعث فى القلب ما تبعثه مدينة القدس من أحزان وآمال ..

أما الأحزان فأمرها معروف ووجوهها تطل علينا كل صباح من الصحف . أما الآمال فقائمة رغم أن الساحة تبدو شبه خالية من أسباب الأمل .. والقدس مدينة تنتمى للأديان الثلاثة .. وهى ترتفع عن سطح البحر ٨٠٠ متر ، واسمها أورسالم بمعنى مدينة السلام ، وحرف اسمها مع الزمن أورشليم وجيرو ساليم وقد عرفت بعد الفتح الإسلامى باسم القدس وبيت المقدس ، وقد ورد فى حديث رسول الإسلام قوله ﷺ « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : البيت الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى هذا » ..

والمسجد الأقصى هو المسجد الذى بنى مكان المسجد القديم الذى وهبت مريم العذراء لخدمته ، وصحيح أن هذا المسجد كان معبدًا يهوديا ، ولكن كلمة المسجد تطلق على كل مكان يسجد فيه لله ..

وفى المدينة كنيسة القيامة التى تعتبر من أهم الأماكن المقدسة عند المسيحيين .

وقد تعرضت القدس خلال تاريخها الطويل للدمار والمآسى ، وكانت تتغلب بعد كل كارثة على محنتها وتعاود الحياة ..

وآخر مآسى القدس هذا القانون الذى تحدت به إسرائيل مشاعر المسلمين

والمسيحيين فى العالم .. وقررت ضم القدس واعتبارها عاصمة لإسرائيل .. ولست متشائما ولا يائسا من قرار إسرائيل بابتلاع القدس ، إن القدس مدينة أسيرة أخذت بحد السلاح ، ومن حق المنتصر أن يبتلع ما يشاء ، ومن واجب الأسير أن يحزن كما يريد ، ولكن الحزن وحده لا يكفى ومحنة القدس تكمن فى الخلافات الممزقة للعالم الإسلامى والعربى .. إن القانون الذى صدر بشأن القدس ليس ثمرة للتفوق الإسرائيلى بقدر ماهو ثمرة لمحنة العالم العربى والإسلامى وانشغاله بالصراع بين أجنحته وأحزابه وحكوماته ومؤسساته وإذا كانت إسرائيل بملايينها الثلاثة أو الأربعة ، يواجهون مائة مليون عربى وألف مليون مسلم ، فكيف يفرض العدد الأقل إرادته على العدد الأكبر .. لقد كشفت لنا الحياة أن العبرة ليست بالعدد ، وأن العدد فى الليمون ، وأن الكثرة قد تكون كثرة كغثاء السيل ..

لا أعرف هل الطريق لإنقاذ القدس تأليف لجنة تسمى لجنة إنقاذ القدس . ؟

لا أعرف ماذا يقول الحكام العرب لله حين يسألهم عما فعلوه ـ بخلافاتهم فى مدينة الأنبياء .

سنقول كمسلمين ومسيحيين « شلت يمينى إن نسيتك ياأورشليم » .. وسننتظر ونرى ..

عزيزى بسام الشكعة

« وأنادى ... من قاع الحزن أنادى .. فأنا يا سيف الدولة دمع فى عين بلادى . يا سيف الدولة .. كل سيوف العرب تصلصل فى الأغماد .. تهمس فى صدأ الأقفال . يا سيف الدولة .. كل خيول العرب تحمحم فى الأوتاد ، وتصهل فى نوبات التذكار ، تحمل تاريخًا مذعورًا ، فلعل الفارس يصحو ، ينهض من كبوته ، يمسح صدأ الحزن ويغسل عار الأشعار .. » .

(فاروق شوشة فى العيون المحترقة)

عزيزى بسام الشكعة ..

أيها الفارس الذى صحا وأيقظنا من صدأ الحزن وعار الأشعار ، هل تعرف أن الانفجار الذى وقع تحت قدميك وقع فى وجداننا فى نفس اللحظة .. فى البدء غاب عنك الوعى مع الدم النازف ، ثم صحوت فى المستشفى على حقيقة ما أصابك .. فقدت ساقيك معًا .. عبرت بغير ساقين بحار الحزن على النفس ، وطرت بجناحى شوقك عبر أراضى الشفقة على الذات .

مؤتمر صحفى لبسام الشكعة بعد أن أفاق من البنج والجراحة .. سأزداد التصاقًا بالأرض .. فيما بعد سيكتب لك أحد الفلسطينين على سريرك .. من فقد ساقه زاد التصاقه بالأرض .. انت فقدت ساقيك .. زرعوك فى الأرض بدلاً من أن يقلعوك منها ، غرسوك كالوردة فى قلوبنا جميعًا .

شاهدت فيلمًا إخباريًا قصيرًا عرضه تليفزيون القاهرة علينا .. الشاش

الضخم .. السرير الأبيض .. ما بقى من جسدك .. ثم وجهك .. نظرت فى وجهك واعتصر قلبى شىء لست أدريه ..

كان فى وجهك ظل من الغضب ، والحزن ، والقوة وكانت هناك آلاف الأحاسيس ، ولكنى لمحت من بينها هذا الوهج الخاطف .. كان فى وجهك إحساس بأن وراءك موعدا هاما .. ولكنهم ـ لسخافتهم ـ يريدون تعويقك عن موعدك .. كان فى وجهك حزن المناضل النبيل الذى يخشى أن تمنعه الجراح من إنهاء عمله .. وهذه فى تصورى هى البطولة الحقيقية ..

«أى نشيد يلائم هذا الندى والبخور ، كأن الهياكل تستفسر الآن عن أنبياء فلسطين فى بدئها المتواصل . هذا اخضرار المدى واحمرار الحجارة ، هذا نشيدى .. وهذا خروج المسيح من الجرح والريح ، أخضر مثل النبات يغطى مساميره وقيودى .. وهذا نشيدى .. وهذا صعود الفتى العربى إلى الحلم والقدس» .

«محمود درويش فى أعراس»

ياعيب الشوم !

سألنى صديق فى التليفون : هل تكتب فى صحف إسرائيل ؟ قلت له : لا .. قال : ولكن أمامى جريدة إسرائيلية تباع فى القاهرة وفيها مقال لك .

رجوته أن يرسل إلى الصحيفة ففعل ، اسمها جريدة الأنباء ، وهى صحيفة يومية سياسية من ٨ صفحات ، فوجئت فى الصحفة السادسة بعنوان يقول « علم الله وإرادة الإنسان » ، وتحت العنوان اسمى ، قرأت الكلام فتذكرت أن هذا جزء من فصل القضاء والقدر المنشور فى كتابى « الله فى العقيدة الإسلامية » ، وأدهشنى أن الجريدة لم تشر أى إشارة إلى المصدر الذى أخذت منه الفقرة ، وحاولت الإيهام بأننى أكتب فيها أو أننى واحد من كتابها كما حاولت الإيحاء بأن المقال قد كتب لها خصيصا ..

أذى مشاعرى هذا التصرف ..

إن هناك تقاليد مستقرة فى عالم الصحافة المصرية ، وهى تقاليد لم تتخل عنها الصحافة المصرية حتى فى أشد عصورها تخلفا وانحطاطا .. من هذه التقاليد الإشارة إلى المصدر الذى تأخذ عنه الصحيفة ، سواء كان كتابا صدر منذ أعوام ، أو كان مقالا سبق نشره .

وقديما كانت بعض الصحف الإسرائيلية العربية تنشر لى بعض ما أكتبه فى الأهرام ، ولم أكن أملك دفع مايقغ لقيام حالة الحرب بين مصر وإسرائيل ، ولأن أى اتصال بإسرائيل يومئذ كان يعتبر خيانة ، ومن

المدهش أن هذه الصحف كانت تذكر المصدر الذى تأخذ عنه ، أى أن هذه الصحف كانت تراعى فى حالة الحرب مالم تعد تراعيه فى حالة السلام .. فهى اليوم تنشر فقرة من كتاب ، وتهدر الإشارة إلى الكتاب ، وتوحى بأننى أكتب فيها ، ولا تأخذ رأيى أصلا فى النشر ..

رحت أقلب صفحات الجريدة وأتأمل أسماء كتابها الأصليين .. نير شوحيط .. محمد أبو هنطش .. أبو شلباية .. وهى أسماء أقرأ لها للمرة الأولى فى حياتى .. وفكرت أنهم يأخذون أجزاء من كتبنا ومقالاتنا ويستغلون أسماءنا لترويج صحفهم وتوزيعها ، ولو أنهم تقدموا لنا بكتابهم فقط لكان الحكم عليهم وعلى أفكارهم أصدق ، طويت الصحيفة جانبا ولم أعرف ماذا أفعل ، بحثت عن اسم رئيس تحرير مسئول عنها فلم أجد ، أعرف أن هذا الأسلوب الذى تلجأ إليه الصحيفة هو أسرع الطرق لترويجها ، ولكن هذا ليس مبررا لإهدار التقاليد الصحفية أو تقاليد الأمانة ..

عزيزتى جريدة الأنباء الإسرائيلية .. بعد الاطلاع على صحيفتكم واكتشافنا أن معظم كتابها يقولون عن الجيم غين .. نقول لكم بلغة الشوام : ياعيب الشوم ! .

مستوطنات جحا

تريد إسرائيل أن تنسحب من سيناء بشرط أن تترك فيها بعض المستوطنات .. وهى مستوطنات حجمها صغير للغاية . وهى إذا قيست بحجم سيناء كان مثلها مثل مسمار صغير مدقوق فى جدار بيت . وقديمًا انسحب جحا من بيت احتله بغير وجه حق وترك فيه مسمارًا صغيرًا فى الجدار . وسكن أصحاب البيت فيه ولكنهم فوجئوا أن جحا يدق الباب حين لم يعد باقيًا من ثوب النهار غير هلاهيل . سألوه : ماذا تريد يا جحا ..

قال : جئت أزور المسمار وأطمئن عليه .. وحشنى المسمار .. كان حبيبى .. وانخرط جحا فى البكاء تأثرًا فسمحوا له بالدخول . خلع عباءة الهموم بعد أن دخل وعلقها على المسمار وجلس تحته . سألوه من باب الأدب والمجاملة : هل تشرب الشاى فأفهمهم أنه ليس معتادًا على شرب الشاى وبطنه خاوية . وهو يفضل أن يأكل لقمة أولاً ثم يشرب الشاى بعد ذلك . أكل جحا لقمة وشرب الشاى وجلس تحت المسمار . وتحرج أصحاب البيت فتركوه قليلاً فلم يلبث أن استسلم للنعاس . قبل أن ينهض من نومه عاد الباب يخبط . فتح أصحاب البيت بابهم ففوجئوا بأولاد جحا وزوجته وبنت عمته وبنت خالته وشقيق زوج أخته .. سأل أصحاب البيت : ماذا تريدون فقالوا : نريد جحا ..

دخل أصحاب البيت ونادوا على جحا أن يخرج لأهله ولكن جحا رفض أن يغادر مكانه تحت المسمار . بعد لحظات كان البيت قد احتل بأهل جحا .

وجلست زوجة جحا تحت المسمار الذى كانت تحبه .. وكان موعد ولادتها قد اقترب . وكانت تتفاءل حين تلد تحت المسمار . كانت تنجب الأولاد دائمًا . وفى المرة الوحيدة التى ولدت فى بلد آخر جاء المولود بنتًا . وطهق أصحاب البيت من الغاغة الجديدة وعبثًا حاولوا اقناع جحا أن يأخذ مسماره ويرحل . ولكن جحا استمات دفاعًا عن المسمار وراح يقنعهم أنه يمكن أن ينسحب على مراحل .. المرحلة الأولى : بعد أن تلد زوجته وتربى إبنها حتى يصير رجلاً ويتزوج وينجب ويفرح جحا بحفيده . وفى هذه المرحلة . يمكن لجحا أن يترك المتر المربع الذى يقع مباشرة تحت المسمار إلى المتر المربع الذى يليه ..

المرحلة الثانية : حين يكبر خفيد جحا ويتزوج وينجب ويفرح هو الآخر بحفيده يمكن أن تبدأ تباشير المرحلة الثانية . وينتقل الأحفاد من موقعهم مترًا آخر فى نفس الحجرة التى يقع فيها المسمار ..

وخلال هاتين المرحلتين يمكن إجراء دراسات مستفيضة حول المسمار والحائط . هل وجود المسمار شرعى أو مشكوك فى نسبته . وهل البيت هو الأصل أم المسمار . وأيهما له الحق فى الاعتراف قبل الآخر .. الحائط أم المسمار .. إلى آخر هذه المشكلات القانونية الصعبة ..

وقد ظل جحا متمسكًا بالمسمار حتى طق أهل البيت من أجنابهم وخلعوا له المسمار من الحائط وألقوه فى الهواء وألقوا جحا وراءه . وذهب جحا مثلاً على الحمق وتضييع الفرصة السانحة . كما ذهب المسمار عبرة لجميع المسامير الثابتة التى لا تريد أن تخرج بالذوق .

أولاد نكتة مثلنا !

نشرت جريدة أخبار اليوم منذ يومين خبرا نقلته عن مراسل التليفزيون فى تل أبيب ، وهو خبر نقله المراسل عن مصدر إسرائيلى كبير رفض أن يكشف اسمه .. قال الخبر «إن إسرائيل تريد بالنسبة لسيناء أن تحتفظ بمنطقتين صغيرتين من الأرض ، مع احتمال الاتفاق على ترتيبات لتأجيرهما لها ، أولا : منطقة صغيرة فى شرم الشيخ لضمان حرية الملاحة ـ إذا قبلت مصر ذلك ـ مع تأجيرها ثانيا : منطقة فى الساحل الشمالى قريبا من رفح حيث أنشئت سلسلة من المستوطنات تريد إسرائيل الاحتفاظ بها ولو بالإيجار» . هذا هو الخبر الصغير ، ولنا عليه تعليق صغير ..

من المعروف أن مبدأ الإيجار من المبادئ المقررة قانونا وعرفا ، دوليا وداخليا ، وأغلبية الناس تسكن بالإيجار ، والأقلية هى التى تسكن فى ملكها ، ونحن نؤيد الأغلبية ، نريد أن نقول إن مبدأ الإيجار مشروع ومقبول ، ولكن المصدر الإسرائيلى الذى رفض أن يكشف اسمه ، لم يقل لنا هل يريد استئجار هاتين المنطقتين إيجاراً عاديًا أو إيجاراً مفروشاً ، إن هناك فرقاً بين نوعى الإيجار ، سواء فى السعر أو رقابة القانون ، فى الإيجار العادى الرخيص لا يمكن التخلص من الساكن ما دام يدفع الأجرة ، وفى الإيجار المفروش الغالى تكون للمالك حرية أكبر ، وهناك مشكلة ثانية ، هل سيسكن فى المنطقتين أزواج أم شبان عزاب ، نحن لا نؤجر شيئا للعزاب بمنتهى الصراحة ، سمعتنا فى الحى والمنطقة لا تسمح بأفاعيل العزاب

وطيشهم . أما الأزواج فنى عيوننا وقد أوصى النبى على سابع جار . أيضا لم نتفق على العفش إذا كانت لإيجارة مفروشة إن العفش عندنا على العروسة . وعلى العريس دفع المهر . وقد ارتفعت أسعار الجهاز كما تعلمون . أيضا لم نتفق على نوع العفش .. أمريكانى مودرن أو عربى ستيل . أيضا لم نتفق على أخطر نقطتين فى موضوع المنطقتين . الخلو والمقدم . المقدم قانون وعرف وبغير المقدم لن نسلم المفتاح أبداً . وهذا يمين بالطلاق . أما « الخلو » فنحن نقول إن (حد) الله بيننا وبينه .. نحن نرفض دخول اللقمة الحرام على العيال . ولكن مواد البناء صعب وسعر الأرض أصعب ونحن ننوى بناء سقف كامل لسيناء وحيطان حولها . ونحن فى حاجة للنقود . ولن نتنازل عن قيمة « خلو » المثل .

فتشوا فى التاريخ عن دولة استأجرت من دولة أخرى ودفعت خلوا . فإذا وجدتم فنحن نريد مثل هذا الخلو . مع احتساب فروق الأسعار التاريخية . وهناك مشكلة صغيرة إذا اتفقنا على هذا كله . إن المنطقتين المطلوبتين للإيجار ملك لمجموعة من الأيتام مات أباؤهم فى سيناء . ولكى يتم الإيجار لابد من عرض الموضوع على المحكمة الحسبية . لست أضع العراقيل أمام المصدر الإسرائيلى صاحب الاقتراح الفكاهى . ولكننى أعتقد أنه لم يستمع جيدا لخطاب الرئيس السادات فى الكنيست الإسرائيلى . ويبدو أن أولاد عمنا اليهود ليسوا شعب الله المختار فقط . ولكنهم أولاد نكتة مثلنا تماما .

التعويــذة السحريــة

حين أقرأ التوراة يثور داخلي إحساس بأنني أقرأ أعظم ما أنجبته العبقرية اليهودية . وفى التوراة أجزاء أحس أن الله أنزلها . وفيها أجزاء يغلب على ظني أنها اضافات بشرية . وفيها أدب جنسى من أرفع أنواع الأدب مثل نشيد الانشاد الذى هو للملك النبي سليمان الحكيم . وأعتقد أن شاعرا عبقريا مجهولا من بنى اسرائيل هو صاحب نشيد الإنشاد . فلا أتصور أن سليمان عليه السلام كان يجد فى وقت النبوة فراغا لقرض الشعر . والله تعالى يقول عن الرسول « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » وتومى الإشارة إلى أن الشعر إبداع بشرى بينما الرسالة وحى إلهى . وهناك فرق جوهرى بين الإبداع الإنسانى والوحى الإلهى . وقد أحببت شعراء اليهود من قراءة التوراة . وفتننى أسلوب البكائيات الساجدة العذبة فى مزامير داود . ويبدو لى الجزء الأكبر من المزامير كأنه أنزل من السماء منذ لحظات . أيضا أحببت أنبياء اليهود كما حدثنى القرآن عنهم . ووقفت بمشاعرى مع نبى الله موسى ضد وثنية فرعون مصر وحكمه الظالم .

وعلى قدر حبى لأنبياء بنى اسرائيل كرهت الاسرائيليين فى ذلك الزمان . إن القرآن يحدثنا عن ضعفهم وجبنهم وتعذيبهم لنبيهم الكريم موسى كما يحدثنا عن صبره عليهم وحلم الله أيضا عليهم . وقد قالت اليهود عبارات تاريخية مثيرة للذهول والاحتقار مثل قولهم لموسى « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » ومثل قولهم الكافر « يد الله مغلولة .. غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا » .

ومثل طلبهم من موسى بعد نجاتهم من مصر ودعوتهم إلى التوحيد أن يجعل لهم صنما يعبدونه . أيضا يحدثنا الأنجيل عن جشع علمائهم وقرائهم وتحايلهم على الشريعة وإهدارهم لروحها واحتفاظهم بقشورها . ويقوم اعتقاد المسيحيين على صلب اليهود ليسوع . ويقوم اعتقاد المسلمين على أن شبيهه هو الذى صلب . وفى الحالتين انعقدت نية ارتكاب الجرم عند اليهود وتوفر القصد الجنائى واستكمل شرائطه . ولست أكتم إحساسى بالدهشة حين أقارن بين صورة اليهود فى الأمس البعيد وصورتهم اليوم . كيف تحول عبدة العجل الوثنيون وجبناء الأمس الذين يخشون ظلهم إلى دولة عسكرية ترفع نجمة داود أحد أنبيائهم العظام وقادتهم العسكريين فى نفس الوقت ؟ ما هى التعويذة السحرية التى شربها اليهود فتغير حالهم وصاروا أقوياء . على المستوى الحضارى اكتشف اليهود قانونين أساسيين من قوانين الحياة .. الأول هو قانون البقاء للأصلح . الثانى هو اكتشاف القوة التى تنطوى عليها العقيدة الدينية وهكذا أخذ اليهود بأسباب القوة المادية . ووصلوا هذه القوة بمصدر القوة فى الكون . ونفخوا فى هذا التقدم المادى أساطير المطلق اليهودى فاجتمعوا حول رب الجنود فى التوراة . أى أن الدين أخضع للسياسة كما أخضعت السياسة للدين . أى أنهم لم يتركوا سلاحا من أسلحة القوة لم يستخدموه . وفى نفس الوقت الذى ترك فيه العرب دينهم وركبوا اهواءهم وتفرقوا . استجمع اليهود شتاتهم وقضوا على شقاقهم وعادوا لدينهم واستخرجوا من التوراة كل رموز القوة وعاشوا عليها .. حين وقع هذا حدث ما نراه اليوم من إحتلال اسرائيل لأرض ثلاث دول عربية . وما زالت عبرة التاريخ قائمة . وما زال الطريق إلى القوة واضحاً ومعروفاً .

طبق اليوم .. للرئيس فرنجية

للفقراء دائما رائحة تزعج الأغنياء .. صوت الفقراء عادة يعلو بينما يهمس الأغنياء .. وجه الفقراء شاحب أصفر - وهذا يفسد المنظر الطبيعى أمام الأغنياء من حق الفقراء والشرفاء أن يموتوا .. من واجبهم أن يموتوا لأن وجودهم حول بيروت قد أفسد شكل بيروت المارونى الأرمنى الأنيق .

الرئيس فرنجية جائع .. لم يفطر اليوم وها قد حان موعد غذائه .. طبق من الطعام للرئيس اللبنانى ..

طبق من بقايا النار والرماد والدموع .. الشوربة دموع آلاف الأطفال الفلسطينيين .. اعتذروا للرئيس سليمان فرنجية قبل تقديم الطبق .. فقد بكى الأطفال من الدهشة .. وكان يريد بكاء حقيقيا من الرعب فاجأهم صوت الصواريخ والهاونات .. لم يفهموا لماذا تضربهم إسرائيل فى جنوب لبنان - لم يفهموا لماذا رحل أباؤهم إلى بيروت من الجنوب .. ليسوا مسئولين عن الرحيل .. لا يقرر الأطفال شيئا إنما يقرر الكبار .. جاء الأطفال إلى بيروت وانكمشوا فى المخابئ وزادت دهشتهم .

طبق من الطعام للرئيس فرنجية .. طبق على الطريقة السورية .. طبق طافح بالأنات والآهات والدم .. دهشة أخرى للأطفال .. كانوا يصفقون للقوات السورية التى جاءت لحمايتهم ففوجئوا أنها تطلق النار عليهم .. ارتعش الأطفال وعادوا يتكدسون فى المخابىء .. دماؤهم تجرى على

ملابسهم وتجرى على جلودهم وتجرى على لحمهم العارى وتجرى على عظامهم . كان أحد الأطفال يبحث عن لوّن أحمر ليرسم فى كراسة الرسم .. أخيرا وجد اللون الأحمر يسيل على صدره . صرخ الرئيس فرنجية .. لم ينضج الطعام بعد .. مطلوب ألف وجنة لألف طفل .. ألف فم لألف طفل .. يقطع هذا جيدا ويضاف إلى البارود ويشوى على الحريق ويوضع فى الطبق .. طبق من دم فلسطين .

طبق من حزن فلسطين وروع فلسطين وبؤس فلسطين ..
طبق متفجر من المياه المجنونة والرعب والخرائب ..

ظبق من الرءوس المحطمة والشمس المخنوقة .. نريد الطبق حارا يتصاعد منه اللهب ، لأن الرئيس فرنجية لا يحب الطعام البارد ..

سقط السقف على ٥٠٠ طفل فلسطينى فأكلوا التراب بعد خمسة أيام من إعياء الجوع وتهافته .. القوات السورية تتحدث بالشعر العربى وتغنى بالشعر العربى أغنيات النصر .. إنهم يقولون ـ عائدون عائدون .. لنحرر فلسطين من أطفال الفلسطينيين .. طبق من الطعام للرئيس فرنجية ..

ابتسموا وأنتم تقدمون الطبق لأن الوجوه المكشرة تفسد شهيته .

فى وزارة الظل !!

أنا معجب أشد الإعجاب بفكرة وزارة الظل . شيء ممتع أن يكون الإنسان وزيراً فى الظل . إن وزارة الشمس مشكلة . ومصر بلد صيفى . ثمانية أشهر فى العام حر وشمس . ويستحسن أن يكون المرء وزيراً للظل فى الصيف .. فإذا جاء الشتاء وهجمت السقعاء خرج الإنسان إلى الشمس . والحقيقة أن رغبتى فى وزارة الظل تعود إلى أيام الطفولة . فقد كنت خجولا أقف فى الظل وتأكدت أننى من هواة الظل أثناء أسئلة مدرس الحساب . فقد كنت أختبئ فى الظل إذا سأل . وأقول ياأرض انشقى وابلعينى . وهذا كله من دلائل النبوغ المبكر والنجابة ..

وقد سررت من فكرة وزارة الظل وقررت أن أشتغل وزيراً للظل .. تكون عندى سيارة على حساب الظل . أم أن الظل سيطنش فى هذه المسألة . نحن نتعب كوزراء فى الظل ولابد لنا من سيارة أمريكية تقينا حر الصهد والشمس . شيء لطيف أن يكون اجتماع وزارة الظل كل شهر . نحن نشتغل يوميا وليس عندنا وقت للاجتماعات . وسوف نجتمع كوزراء للظل فى نادى الشمس نكاية فى الشمس ونقهقه ونحن نأكل بأرستقراطية وعظمة ..

لم نتكلم فى المرتب . كم تدفعون لى كوزير فى وزارة الظل . إنهم يدفعون مبلغًا لا بأس به فى وزارة الشمس . ولقد ارتفعت أسعار الأشياء وزاد الغلاء وعم البلاء ولابد من فلوساء .

اتفقنا أن أكون وزيراً فى وزارة الظل فخلاص .. بقى أن نختار الوزارة . أريد أن أكون وزيراً لوزارة جديدة . لابد أن نبتكر . نسميها وزارة المطبات والفحوتات . واختصاص هذه الوزارة أن تراقب صحة المطبات ونموها فى مناخ ديمقراطى متفتح .. سوف أهاجم وأنتقد بشرط أن يكون النقد بناء لا هداماً . وسوف أضع حلولا بشرط أن تكون حلولا على الورق . سأكون شجاعاً ولكن بلطف وأدب سأكون اشتراكيا ثوريا بشرط أن أدخن السيجار وآكل الجمبرى [حيوان بحرى منقرض] وسوف أكتب فى جريدة المعارضة التى تعاون فيها الحكومة . سأكون معارضة تساعدها الحكومة . تماماً كالعفريت العجوز الذى قال لشاب يعبر الطريق ــ والنبى ياابنى تأخد بإيدى عشان أقوم أخوفك .

ليس عيبا أن تساعد الحكومة المعارضة إن الحكومة تساعدنا جميعاً . والوظيفة ليست عيبا . وكلنا موظفون .

هذا برنامجى شرحته لكم بالتفصيل المريح الربع مقدما والباق على سنة وربع . وأى صحفى يسألنى لن أرد عليه . فأنا مشغول .. سأقول له .. دعونا نعمل فى هدوء .

انتهى الأمر واخترت فحمداً لله .. بقى أن تختارنى وزارة الظل الجديدة .. علما بأننى مستعد لاى اختيار . وقد أحضرت معى البطاقة العائلية وبطاقة التموين ..

الملك منفتاح وأصول الانفتاح ! !

أعترف أننى واقع فى الحب ، وأعرف أن أحدا لا يعرف هذه الحقيقة . وهذا من الستر ، والسيدة التى أحبها ، سيدة عظيمة جدا ، ومحترمة جدا . واسمها نفرتارى ، وقد ماتت نفرتارى منذ ثلاثة آلاف عام تقريبا ، ورغم أنها ماتت ، إلا أننى أحبها ، وقد ترك أحد أجدادى الرسامين صورتها على معبدها فى حوش قرافتها ، ونقلت كتب الفن صورتها ، ونظرت يوما إليها ، فوقعت فى حبها ، ولم أزل .. وكل ليلة قبل أن أنام ، أتلفت حولى لأتأكد من أن أحدا لا يرانى ، ثم أفتح كتاب الفن وأحدق فى صورتها بحب غامر وسعادة طافحة ، ثم أغلق الكتاب وأنام .. وذات ليلة زارتنى فى الحلم ، كانت ترتدى فستانا من الكتان المصرى ذى اللون البيج ، وفيه ورد فرنساوى مشغول ، لونه بنى غامق ، وكانت ترتدى فى قدميها صندلا صنع من الليف المبطن بالحرير والذهب ، وكانت أصابع قدميها كأصابع الموز ، وكل أصبع ينتهى بفراولة ، كانت عابسة على غير عادتها ، وسألتها منزعجا : «بالك مشغول بإيه يا روحى ؟» .. !

قالت نفرتارى : الملك منفتاح عاوز يشوفك ، عرف أنى بزورك وبحبك قال لى ضرورى أشوفه ، انقبض قلبى قليلا ، وقلت لها : أمرك يا نفرتارى .. اللى تشوفيه .. وانصرفت نفرتارى وعادت برجل دخل عقلى كالزوبعة ، كان ثائرا صائحا يرغى ويزبد ويتكلم باللغة الهيروغليفية كلاما كثيرا وهو يشوح بيديه : ولما أدرك أننى لا أفهمه ، حدثنى بالعامية ، قال : إنت مصرى ..

قلت له : نعم .. قال : أنعم وأكرم .. إيه حكاية منفتاح اللى إنتو طالعين فيها اليومين دول .. ؟

سألته : منفتاح إيه ؟ .. قصدك الانفتاح .. ؟

قال : وكمان بتنطقوا اسمى غلط .. أنا مش ممكن أفوت الموضوع ده ..

حاولت أن أفهمه أن اسمه لا علاقة له بالانفتاح ، وأن المسألة مجرد تشابه فى الأسماء لا أقل ولا أكثر ، وسألنى عن الانفتاح .. وحدثته عن الحرية الاقتصادية ، وبرطمانات البريانتين والجعة المستوردة (البيرة) ، والجبنة الروكفور ، والمياه الغازية ، والكلونيا ، والويسكى ، واندفع يمسكنى من ملابسى وأمسكنى من الكرافتة ـ وأنا رجل محترم ـ وراح يهزنى وهو يقول : ده اسمه انفتاح ؟ .. ده مش انفتاح .. ده اسمه انشراح لشوية تجار ، الانفتاح حاجة تانية خالص ، تنفتحوا عا العالم ، عا الإدارة الجديدة ، عا النضافة ، عا الحرية .. البلد كله يتغنى مش شوية تجار وبس ..

قلت له : والله يا عم منفتاح أهو ده اللى جرى .. قال : خلاص .. سموه انشراح ، سموه انبطاح ، سموه انشكاح ، سموه أفراح ، إنما منفتاح لأ .. أنا مش عاوز حد يهزأ اسمى .. اسمى التجارى ، سمعتى وسط قدماء المصريين ، أنا حرفع قضية ، أنا الملك منفتاح يحصل لاسمى كده ؟ .. بتقول فيه جعة مستوردة ؟ .. إيه الجعة المستوردة دى ؟ .. طعمها إيه ؟ .. وأدركت ـ ببالغ الحزن ـ أن الملك منفتاح أثار كل هذه الزيطة والهيصة ليحصل على زجاجة من الجعة المستوردة ..

حتى أنت يا منفتاح .. ؟ !

لافتات الانفتاح والسلام

فجأة تحرك التجار لإبداء رأيهم فى مبادرة السلام . وقديما قال أعظم نقاد إنجلترا « ما أفكه أساتذة الجامعة وهم يتحدثون عن النقد » . ولسوف نرجوه أن يسمح لنا باستعارة كلمته مع تغيير كلمة أساتذة الجامعة بكلمة التجار . وتغيير كلمة النقد بكلمة السياسة .. وسوف تصبح العبارة هكذا « ما أفكه التجار وهم يتحدثون عن السياسة » .. إن اللافتات التى رفعت فى عاصمة القاهرة تعبر عن رأى التجار تعبيرًا دقيقًا . ورغم أنّ نصف اللافتات يعلن عن قطع غيار مستوردة أو سيارات أو قماش ستائر أو قمصان أو فانلات . رغم هذا كله لايمكن إنكار الوعى السياسى المتقدم عند التجار . لقد كانوا أسبق الفئات فى تأييد المبادرة تمهيدًا لاستغلالها لصالحهم . ولم يتوقفوا طويلا ولاقصيرا عند الفكرة لبحثها واكتشاف جوانبها الإيجابية والسلبية . فهم متفتحون انفتاحا على الانفتاح . وهم مؤيدون للسلام لأن السلام لازم للتجارة . والشىء إذا لزم لشىء صار شيئا لزوم الشىء . والشىء لزوم الشىء لازم كالشىء سواء بسواء . ولو أن التجار خفضوا أسعارهم .

بنسبة ١٠٪ فقط . واكتفوا ببناء ست عمارات بدلا من ثمانية . أو اكتفوا بادخار ثلاثة ملايين بدلا من أربعة . لو أنهم دفعوا ما عليهم من ضرائب للدولة ولم يتركوا الموظفين يدفعون وحدهم .. لو وقع هذا لصدقنا أنهم مع السلام حقا . لأن السلام ليس هو السلام الخارجى وحده وإنما هو السلام الداخلى أيضا . واعتصار شقاء المستهلك وتحويله إلى شقق مفروشة

وبضائع معروضة ونقود مرصوصة ليس من السلام فى شىء .. ولقد اختار التجار طريق اليفط الدعائية وهى يفط من القماش الرخيص أضيف ضعف ثمنها على السلع حتى نقول رأينا ونكسب . نكون مع الحرب فنكسب . ونذهب إلى السلام فنكسب . والمكسب البعيد أقل من المكسب القريب . والخسارة القريبة أحيانا تكون أفضل من المكسب البعيد . والمهم أن تكسب . وليس هناك مخلوق بشرى ضد المكسب والرخاء . وقد أحل الله البيع وحرم الربا . وهذا كله صحيح ومفهوم وبديهى . ولكن فى التجار المصريين من يربح بشكل فاحش . ومنهم من يبيع فينطبق على بيعه روح الربا الظالم الآثم . ومنهم من يتصور أن الناس لا تفهم ولا تعرف ولا تدرك ولا تدرى . فيهم من يتصور أن السلام دكان يدخله التاجر وهو يرفع اللافتات فيصير مع السلام . ومنهم من يتصور أن السلام كلمة تقال بالفم فى نفس الوقت الذى تضرب فيه التصرفات التجارية المستغلة كل معانى السلام وحقيقته ..

ونحن نكره التعميم ونعرف أن فى التجار عناصر وطنية مخلصة . ونعرف أن فيهم من يتقى الله فى أمانة البيع والشراء ونعرف أن فيهم من يخشى كثرة المال الحرام مدركا أنها تجر فى أذيالها ضياع كل شىء .

نعرف هذا كله . وكنا نحب أن يترجم التجار رأيهم فى السلام ترجمة عملية ملموسة بخفض الأسعار . لا أن يضحكوا علينا برفع اللافتات الدعائية واقتضاء ثمنها من جيوب الغلابة ..

الثـوب العـارى والطفـلة

من حواديت الأطفال التى يدرسها أبناؤنا فى المدارس هذه الحدوتة الجميلة :

فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان كان هناك ملك يحب الثياب الجميلة ، ولا يرتدى إلا كل ماهو عجيب وغريب منها ، وكان الترزية يمكثون شهوراً طويلة لصنع عباءاته وسراويله وينسجونها بخيوط الذهب والفضة . ثم يذهبون بها إلى الملك فيرتديها ويقف أمام المرآة ، ثم يكتشف فيها عيوبا ويخلعها غاضبا ويلقى بها فى وجوههم ، وفشل كل ترزية المملكة فى إرضائه ، وذات يوم هبط أرض المملكة ترزى قادم من أرض غريبة ، وأشاع هذا الترزى أن لديه خيوطا من الذهب التى ينسج بها ثيابا لم ترها عين ولا سمع بها أحد . وأرسل إليه الملك يستدعيه . ورفض أن يذهب فذهب إليه الملك . وسأله غاضبا : لماذا لم تحضر حين استدعيتك ؟ .

قال الخياط النصاب : يا مولاى .. أنا مشغول جدا ، وثيابى التى أصنعها من الذهب الخفى غالية قليلا على جلالتك .

قال الملك غاضبا : هل أنت مجنون .. كم ثمن العباءة ؟

قال الخياط النصاب : ألف ألف ألف قطعة من الذهب .

قال الملك : هذا كل ما فى خزائنى .. سأصبح مفلسا لو اشتريت منك

عباءة . ولكننى لابد أن أفعل .. متى تنتهى من صنعها ؟..

قال الخياط : بعد سنة كاملة ..

وهكذا حمل الملك كل ما فى المملكة من الذهب وذهب به إلى الخياط . ومكث الخياط سنة كاملة انتهى فيها من تهريب الذهب من المملكة . وذهب بعد ذلك إلى الملك وهو يحمل صندوقا ثمينا من خشب الصندل . وفتح الصندوق وقال للملك : اخلع ثيابك . وخلع الملك ثيابه ووقف عاريا وتظاهر الخياط بأنه يخرج من الصندوق عباءة وهمية وضعها على أكتاف الملك وهو يقول له : هذه هى العباءة .. إنها خفية لا تظهر .. هى مثل سر مهموس بين عاشق وحبيبته .. لا شاهد عليه سوى القمر .. وقف الملك أمام المرآة فلم ير شيئا ، وسأل وزراءه ورجاله عن رأيهم فتسابقوا فى الحديث عن مفاتن العباءة وجمالها ودقة صنعها وحلاوة نسيجها وروعة تفصيلها . وهكذا خرج الملك عاريا فى احتفال عام اصطف فيه الشعب ، وراح الناس ينافقونه بإطراء محاسن العباءة وجمالها . ولكن طفلة صغيرة لم يدخل النفاق قلبها ولم تتعود عليه صرخت تقول لأمها : ماما .. إن الملك يمشى عاريا ..

لم تكد البنت تطلق صرختها حتى اكتشف الملك أنه كان ضحية لنصب الخياط ونفاق وزرائه .. وأسرع يغطى جسمه ..

هذه هى الحدوته .. ومثل هذه الحواديت تعلم أطفالنا كراهية النفاق وتربى فيهم صلابة الخلق .

هـذا القبطـان الروسى الشجـاع

تعيش ناقلات البترول . وهى تمخر عباب البحر . وسط إجراءات أمن بالغة القسوة . من الأمور المحرمة إشعال عود من الكبريت على سطح الباخرة . ومن الممنوعات إشعال ولاعة . أو تدخين سيجارة . أو تدخين غليون . وفى المرات القليلة التى ركبت فيها ناقلات للبترول . كنت أحاذر أن أشعل سيجارة أو أدخن الغليون .. وحين نسى زميلى المصور هذا التحذير . وحاول إشعال سيجارته . منعته عشرات الصرخات المحذرة .. من التقاليد المتبعة أيضا فى ناقلات البترول . انها لا تقترب من السفن الغارقة إذا كانت مشتعلة . ومن العرف البحرى السائد . أن تبتعد ناقلات البترول عن أى سفينة تشتعل فى البحر . لأن رياح البحر . بكل جنون الشعراء الذى تحمله . قد تحمل قطعة من اللهب وتلقيها فى وجه ناقلة البترول . فتتحول هى الأخرى إلى كتلة من اللهب .

ولهذه الأسباب كلها .. كان تصرف القبطان الروسى الشجاع مع الباخرة المصرية الغارقة «باترا» . تصرفا ينطوى على بطولة حقيقية .. رغم التعليمات الصارمة . ورغم العرف البحرى السائد . ورغم الخوف من مفاجآت النار . رغم هذا كله . اقترب القبطان الروسى بناقلة البترول . وأنقذ ركاب الباخرة المصرية . كان ركابها عائدين من الحج . مسلمين . مصريين . وهو رجل ليس مسلما . وليس حاجا . وليس مصريا . ولا يعرف اللغة العربية . وليس من ديننا ولا من وطننا ولا من جنسنا . ولكنه

إنسان .. وبسبب انه إنسان . غامر بسفينته وحياته ومستقبله وسمعته . وتقدم . صنع من شدقى الموت المشتعل دعامتين لكرسى وثير يصلح للجلوس بعد الطعام ، وتدخين الغليون وتقدم . كان يتقدم من النار وهو يحمل أسرع المواد اشتعالا فى العالم . كان يقترب من النار وهو يحمل البترول . وكان هدفه انقاذ هذه الأرواح الإنسانية التى يلعب بها هياج الموج الجامح .. أى نبل إنسانى ... ؟

كيف يفكر هذا القبطان فى الموت ؟ .. أتراه يفكر فيه أصلا ؟ .. أم أنه يتصور الموت مجرد نداء بالصعود إلى مركز المرقبة . وعندما يصعد فسوف يعرف لماذا استدعوه . ولن يعرف قبل ذلك ..

إن إطلاق وصف البطولة على تصرفه ليس إنصافا لتصرفه .. هذا القبطان . سليل التقاليد التى صنعت أبطال تشيخوف . وجو جول . وتورجنيف ودستويفسكى . ومكسيم جوركى . وشولوخوف .. هذا القبطان هو مزيج من عظمة بيتر بيزوخوف . والأمير أندريه بولكونسكى . بطلى الحرب والسلام لتولستوى .. ولقد دخل هذا القبطان الروسى كل بيت فى مصر . وصافحه الناس وهم يشربون قهوة الصباح . ويأكلون خبزهم . ودعاه الآلاف منهم لأكل الخبز والملح . دليلا على الصداقة الإنسانية الخالصة ..

الأسد والعجول الثلاثة

كان الوقت عصرا ..

والغابة رطبة تموج بظلال الأشجار المائلة . وتحت شجرة ضخمة كان يرقد سبع نحيف ضعيف هده طول الجوع والهفتان . وضعفت أنيابه وصدئت مخالبه من قلة الاستعمال . وفجأة .. هبت نسمة قوية حركت أغصان الأشجار فتنبه الأسد . ثم خيل إليه أنه يسمع صوت أقدام لعجول تمشي . حسب السبع فى ذهنه عدد الأرجل فرجح أنها ١٢ قدما . ولم تطل حيرته فقد أطل عليه ثلاثة عجول سمينة تمشى معًا . كان أحدها عجلا أسود غطيسا ، والثانى أحمر قانيًا . والثالث أبيض ناصعًا ..

فتح الأسد فمه ورحب بالعجول الثلاثة وحلف عليهم بالطلاق من زوجته أنه لابد مستضيفهم قليلا .. وراح ذهن الأسد يتحرك بسرعة الضوء . ثم انه فكر وفكر ثم مال على العجل الأسود والعجل الأحمر وقال لهما إنه لا يضمن أن يستمرا فى الغابة ومعهما العجل الأبيض . لأن لون بياضه الناصع كفيل بأن يلفت إليهم انتباه الأسود والنمور والحيوانات المفترسة فيقتلونهم جميعا ويأكلونهم هم ياجمل ..

سأل العجل الأسود والعجل الأحمر : ماذا نفعل قال الأسد : دعونى أكل العجل الأبيض حتى تضمنا السير فى الغابة بلا متاعب ..

وقبل العجلان فأكل الأسد زميلهما الأبيض . فلما دبت فى عروق السبع

دماء الحيوية . قال للعجل الأسود إن العجل الأحمر كفيل بلفت انتباه حيوانات الغابة إليها . فلو سامحه فى التهامه لكان ذلك أجدى وأولى . وسامح العجل الأسود فى العجل الأحمر . فأكل الأسد العجل الأحمر . فلما ارتوت مفاصله وعروقه وتجددت حيويته ودبت فيه القوة .. التفت إلى العجل الأسود وقال له : أريد أن أكلك بصراحة ..

قال العجل الأسود : لقد أكلتنى حين سمحنا لك أن تأكل العجل الأبيض .

توتة توتة فرغت الحدوتة ..
والحدوتة هدية لنظام الرئيس السورى حافظ الأسد .

بيـن الصداقـة والحـب

الفرق بين الصداقة والحب هو الفرق بين الشمس والقمر .. الشمس هى الصداقة والحب هو القمر . والشمس طاقة تلد الحياة وتعين على العمل . والقمر يثير خيالك وربما روحك بكآبة غامضة وحزن غير مفهوم . وقانون الصداقة معروف وثابت ولكن قانون الحب متغير كوجه القمر الغادر الذى يزيد وينقص .. وقانون الصداقة يؤكد أن الصديق لوقت الضيق . أما قانون الحب فكأس من العسل الذى يغلف المرارة . أو قطعة من الثلج داخلها النار . ولكل لحظة من لحظات الحب قانونها الذى يفلت حين تحاول إمساكه مثلما يفلت شعاع القمر من قبضة الأطفال . وإذا كان الصديق لوقت الضيق . فقل لى ماذا يفعل العاشق إذا كان الضيق ينبعث من محبوبه لأن ظفر أصبعه الصغير قد انكسر !

والصداقة شجرة تعيش مائة عام كأشجار التوت المعمرة . أما الحب فزهرة من زهور المانوليا جراندا فلورا . وهى زهرة ثمينة لا تعيش غير يومين اثنين ثم يزحف عليها فى اليوم الثالث صدأ الموت الليمونى وتسلم أنفاسها المعطرة فى عذوبة ..

والصداقة أوسع من عباءة الحب . فهى يمكن أن تجمع خمسة أو ستة . ولكن عباءة الحب تضيق بأكثر من اثنين وتعتبر الثالث من العوازل .

وفى كل صداقة قدر متيقن من الحب . ولسـ ؤ الحب صداقة إلا

نادراً . والويل للحب حين يتحول إلى صداقة .. إن هذا يعنى دخولنا فى العصر الجليدى الأول . حين كانت البحار ثلجاً متجمداً لم يبدأ فى عشق الشمس بعد .

وقد جربت أن أعيش بغير طعام أو تدخين أو نقود . ولكننى لم أجرب أبدا أن أعيش بغير صداقة أو حب .. وحين يموت أحد أصدقائى أحس أن جزءاً من وجودى قد مات . وحين تموت قصة حب لى أحس أن جزءا من وجودى قد ولد من جديد .. إن العقل الإنسانى يبدأ فى نسج صورة جديدة للمحبوبة . صورة كان ينبغى أن تكونها ولم تستطع أن تكونها . وليس هناك أقسى من هذا الظلم فى الحب . أن ترسم لمن تحب صورة وتطالبه بأن يلوى عنق الدم واللحم والأخطاء إلى ما اخترعته أنت فيه من سمو خيالى وتفرد ..

وقد كتب العرب القدماء فى الصداقة والصديق . مثل كتاب أبى حيان التوحيدى الذى يحمل هذا الاسم . كما كتبوا فى الحب والأحباء مثل كتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسى . وكتب الحب تزيد كثيرا فى الأدب العربى القديم عن كتب الصداقة رغم أن كمية الحب فى الدنيا أقل من كمية الصداقة . وربما كثرت كتب الحب لقلة الحب وإحساس العاشقين بحاجتهم إلى التعويض . وفى الحب قدر من الغيرة يكفى لقلب ميزان الكون إذا ظهر فى السماء قمر جديد . ولكن فى الصداقة قدر من التعاون الحسن الذى يعتبره أمراء الحب منتهى النذالة .

والصداقة رجل والحب امرأة . وزواجهما يعنى طردهما من الجنة . ولسوف أصمت الآن لكى أقول سرا من أسرار الحب والصداقة .. وهو سر لا يقال إلا من خلال الصمت .

الحب بين حضارتين

يكشف لنا الكاتب الفرنسى أنطوان دى سانت اكسوبرى فى كتابه الأمير الصغير عن سر من أسرار الحب حين يتحدث عن استئناس المخلوق للمخلوق :

ألست أميرا صغيراً .. تستطيع أن تستأنسنى .
ما معنى أستأنسك .

معناها أن تجلس فى كرسيك وأجلس أنا فى الشمس . ثم تنظر إلىَّ وأنظر اليك .. نتبادل النظرات فى صمت . ستنطبع صورتك فى عدسة عينى . وسيحدث لك نفس ما يحدث لى .. بعد ذلك نتبادل كلمات قليلة ..

ولكننى أحبك .
كيف تحبنى قبل أن تستأنسنى ؟ .
لست أفهمك .
لن تفهمنى إلا بعد أن تستأنسنى .
ما معنى أستأنسك .

سأقول لك المعنى .. أنت بالنسبة لى الآن مجرد مخلوق عادى كبقية الناس وبالنسبة لك أنا مجرد مخلوق عادى .. إذا استأنستنى ستصبح بالنسبة إلىَّ المخلوق الوحيد من نوعه فى العالم ..

ما هى أهمية ذلك .

هذا هو الحب ..

يكشف الكاتب الفرنسى عن أسلوب الحب وطريقه فى نفس الوقت لذى يكشف فيه عن حقيقة باطنية من حقائقه . وهذا الجانب العملى جزء من أسلوب التفكير فى الحضارة الغربية . أما الحضارة العربية فتختلف تماماً . والجانب العملى مفتقد فيها فى الحب تماماً . وها هو «قيس» أو «كثير» أو «جميل» يسيرون ضد مصالحهم حين يعشقون . ويرتطمون فى نهاية الأمر بصخور البحر فتتحطم سفنهم وأشرعتهم ويغرقون .. ويكشف كتاب «دنى دى رجمون» عن أساطير الحب . أن الحب بمعناه العذرى مدين بوجوده للحضارة العربية والإسلامية وأن لقاء تيار من آسيا الوسطى والأندلس قد ساهما معا فى حفر مجرى نهر الحب العظيم الذى أفادت منه آداب أوربا وفنونها . ويلاحظ الدارسون لظاهرة الحب فى الحضارة العربية وجود لون من التوحد الصوفى بين المحب ومحبوبه . أو وجود انسياح بين الحدود فلا يعرف المحب هل سكر من خمر الدنان أو من خمر الشفاه

سقتنى بيمناها وفيها فلم أزل   يجاذبنى من ذاك أو هذه سكر
ترشفت فاها إذ ترشفت كأسها   فلا والهوى لم أدر أيهما الخمر

جـلد خـروف لمجنـون ليـلى

عثرت فى إيران على كتاب لرجل كنت أسمع عن اسمه دون أن أقرأ له شيئاً . الكتاب للصوفى الفارسى فريد الدين العطار . اسمه منطق الطير . عاش الكاتب فى القرن الثانى عشر ومن أعظم آثاره التى خلفها فى أدب الصوفية هذا الكتاب . وهو يتخيل فى كتابه أن لقاء تم بين الطيور وخلال حديثها كان الرجل العظيم يقول لنا فكرته عن الحب الإلهى .. يحكى الكتاب قصة عن مجنون ليلى فيقول إن المجنون أراد أن يرى ليلى . ولم يكن هناك سبيل إلى لقائها أو الاقتراب من خيامها بعد أن ذاعت قصة حبه الشهير لها . وهكذا ذهب المجنون إلى راعى غنم وتوسل إليه أن يبيعه جلد خروف ليرتديه . ورجاه أن يسمح له بأن يندس وسط الأغنام . وبعدها يقود الراعى غنمه نحو خيام ليلى . لعل المجنون يراها أو ينفذ إليه بعض عطرها السجين فى الخيمة . وهكذا خلع المجنون ملابسه وارتدى جلد خروف وركع على يديه وركبتيه واندس وسط الأغنام وطاف بخيام ليلى . ولم يكد قلبه يحس باقترابه منها حتى أغمى عليه فلم يرها .. وهكذا حمله الراعى بين يديه إلى الصحراء . وألقى على وجهه ماء بارداً ليطفئ بعض نيران قلبه المشتعل .

وأفاق المجنون . وسأله الراعى مندهشا : كيف تسمح لنفسك بهذا أيها الرجل النبيل . كيف تتعرى من ثيابك وترتدى جلد خروف قذر . بينما أنت تستطيع أن تلبس الحرير والذهب وتجلس فى خيمتك كالملوك .

وتنهد مجنون ليلى وأفهم الراعى أن أحداً لن يفهم حاله ولن يحس بما يعانيه .. إن المجنون يحب . والحب يخلع الإنسان من عاداته اليومية . ويرميه خارج سلوكه المعتاد . ويقذفه بعيدا عن حصن الأمان والملل والحياة الرتيبة اليومية . الحب احتراق للقلب . ومن كان قلبه يحترق لا يهمه أن يرتدى جواهر التاج أو جلد خروف ..

وضعت الكتاب جانباً ورحت أفكر .. إن كلمة الحب تتردد فى حياتنا اليومية آلاف المرات وهى تحمل الآف المعانى التى لا علاقة لها بالحب . أحياناً نطلق اسم الحب على الرغبة . وأحيانا نسمى النزوع حبا . وأحيانا نمزق أقنعة السر عن الحب وننظر فى وجهه الترابى ونسأل أين روعة الحب ..

لست أعرف لماذا يبدو مذاق عصرنا مريراً بغير نوعية الحب التى كان يعرفها مجنون ليلى . وليس المجنون هنا غير رمز لشوق الإنسان إلى الحقيقة الإلهية ، سواء كانت هذه الحقيقة إنساناً فقيراً يتسول طعامه . أو قطة تموء بسبب العطش . أو كلبا يحس بالتعاسة لأن أحداً لم يربت على ظهره بحنان ..

ما أشد حاجتنا إلى الحب هذه الأيام .

حــوار مع زهــرة

وقفت أمام زهرة وحيدة تنبت فى حديقة مهجورة لبيت وسط الصحراء .. كانت الزهرة تحس بالوحدة .. أو هكذا تصورت .. لم يكن فى المكان كله غيرها . وخيل إلى أنها لابد أن تكون متعطشة لشىء من الخضرة يؤنس وحشتها وسط جهامة الخلاء وامتداده ..

قلت لها : صباح الخير .. أنت أجمل زهرة فى المكان ..
قالت : ما معنى أجمل ..

أدركت أنها متواضعة إلى الحد الذى تجهل فيه أنها جميلة . وأدهشنى قانون الخالق الذى تخضع له الزهور .. عدت أسألها : فيم تفكرين وأنت تشقين طريقك وسط ظلمة الطين وثقله .. هل تعذبت كثيرا ..

قالت الزهرة : ما معنى تعذبت ..
أدركت أن العذاب وقف على الحياة الإنسانية . أما الجهال المجرد فلا يعرفه .

عدت أسألها : أنا آسف .. ما الذى تفكرين فيه الآن ..
قالت : أفكر فى اللحظة التى سأمنح فيها العطر للهواء
سألتها : أتحبين الهواء لهذا الحد .
قالت : الشمس هى السبب .
قلت : هل أنت واقعة فى حب الشمس ..

قالت الزهرة : الشمس تمنحنى الطاقة .. والله يأذن للشمس أن تمنحنى الطاقة . وأنا أمتلئ بالعطر . يظل العطر سجينا داخلى فأفكر .. متى يجىء الوقت ويفيض منى العطر وينسكب فى الهواء حولى .. هذا كل ما يحدث ..

سألت : ما الذى تأخذينه مقابل عطائك أيتها الزهرة ..

قالت الزهرة : لا أفكر هكذا .. لا أسأل ماذا سوف آخذ .. إننى أعطى فقط ..

قلت لها : أرجوك أن تجيبى على سؤالى .. فكرى مرة ثانية .. ماذا تأخذين مقابل عطائك ؟ ما هو العائد ؟ .

قالت الزهرة : ما معنى العائد ..

قلت لها : يبدو أننى أتحدث معك بلغة أخرى .. أنا آسف . ما هو حلمك الآن ؟

قالت الزهرة : أن أذبل .. أنحدر نحو هدوء الشيخوخة .. ما أجمل أن ينحدر المخلوق نحو الأرض .. يمنح العطر وتبقى له الحكمة ..

فى العشـــق

«كل ما أقوله عن شرح العشق وبيانه . أخجل منه عندما أواجه العشق ذاته . وإذا كانت حركة اللسان تضىء الطريق لمعرفة الحقيقة . فإن العشق الصامت أبلغ من أى بيان . فبينما القلم مندفع فى الكتابة . إذا به ينشق على نفسه حين جاء إلى العشق» .

هذه كلمات سيدى جلال الدين الرومى شاعر الصوفية الأكبر . وهى كلمات انثرها لكم كالبذور تحت سطح الأرض . وسوف نهيل عليها تراب الذكريات معًا ، وسوف نسقيها بمياه الأمطار سواء كان مصدر المطر هو السحاب أو كان بكاء القلب مصدره ..

المهم أن نخفى البذور جيدا تحت سطح الأرض . فإن اختفاءها هو السر فى اخضرار صفحة البستان فيما بعد . ولننتظر فترة كافية ، فلابد من وقت لكى يصير الدم حليبا صافيا . ولابد فى عالمنا من زمن ليعود الجسد الترابى إلى الأصل الذى خلق منه وهو الماء ..

كم معجزة تمر عليها وأنت مغلق العينين كل يوم .. هذه الساق الضعيفة لهذه الوردة التى شربت من دماء الأرض . كيف استطاعت هذه الساق أن ترفع آلاف الأطنان من تراب الأرض وتخترقها متجهة نحو السماء .. وهذا الندى الذى يتجمع مثل بكاء خجول على أوراق الوردة فى الفجر .. هل تصدق أنت أنه الندى . أم أدركت بنور البصيرة أن الوردة كانت تصلى مع

آلاف الكائنات التى سجدت ساعة الفجر .. ثم بكت حياء أو حنانا حين مس شوكها جناح عصفور .

لن نقلب صفحات الكون معا .. دعنا نرجع إلى البداية الأولى لخلق الكون .. حين كان الكون صائما لم يفطر بعد بالشرور .

كانت أمواج البحر عذراء لم تمخرها سفينة . والرياح نقية لم تلمس جبهة إنسان . والجزر صادقة لم تطأها أرض بشر . والدنيا بأسرها بريئة لم تشهد هذه المأساة الإنسانية من الحروب والدماء والشرور والأكاذيب والتسلط وخيانات المحبين .. ما أجمل أن يرتد المرء إلى البداية الأولى التى كان عليها الكون قبل أن يولد الإنسان . ان الصمت كان طهرا مقدسا مثل جزيرة من الصفاء .. وكانت الدنيا كلها صائمة عن الشرور عطشى إلى الله ..

آه .. هل فهمت الآن سر هذا الحنو الداخلى حين يقترب شهر رمضان ..

بعد أيام يجىء الشهر وتجرى سفينة الروح فى بحار البراءة الكونية الأولى .. وتمتد المياه تحت السفينة وأمامها . ويشرب العطش من ينابيع الكلمة ..

وفى البدء كانت الكلمة .

الكنـــز

فى أعماق كل إنسان منا حفار غامض لايكف عن العمل فى منجمه . ولكن أحدا فينا لا يدرى إلى أين يتجه النفق الذى يحفره هذا الحفار . أحيانا نستمع إلى صوت فأسه المكتوم الذى يشبه ضربات القلب . وكثيرا ما يخيل إلينا أننا نعرف إلى أين يتجه . ولكننا دائما لا نعرف ..

والإنسان أصلا خلق من طين الأرض .. والأرض تضم الآف المناجم والجواهر والكنوز ..

إذا كان الإنسان أصلاً من الأرض ، فكيف لايكون داخل أعماقه ما فى الأرض من مناجم ..

أسلم نفسك لرحمة الزمان والمكان والحنان .. ابحث فى نفسك عن هذا المنجم . أو على أقل تقدير لاتحاول تعويق عمل الحفار الغامض الذى يحفر . فلعله فى الطريق إلى اكتشاف وأنت لا تدرى ..

يخيل إلى أن الله لم يخلق إنسانا بغير منجم . وأؤمن أن الله لم يخلق إنسانا بغير كنز ، وأعظم أنواع الكنوز ما يكون داخلنا لاخارجنا لأن الكنز الخارجى مملوك لنا ملكية مؤقتة تنتهى بالموت . ولا أحد من الموتى يصحب إلى القبر كنوزه المادية .. إنما يحمل الموتى كنوزهم المدفونة فيهم .. وهكذا لم يحمل سليمان عليه السلام كنوزه من الذهب والماس حين مات ، وإنما حمل معه تواضعه الداخلى وحبه لله .

وهذان الكنزان غير مرئيين ..

كيف يساعد الإنسان منا هذا الحفار الذى يعمل فى منجمه داخلنا ..
آه .. لن أتفلسف عليكم وأدعى أننى أعرف الجواب ..

لست أعرف كيف يمكن المساعدة .. ولو كنت أعرف لحدثتكم . يخيل إلى أن محاولة الاتصال بهذا الحفار الذى يبحث عن الكنز داخلنا غير ممكنه . ويخيل إلى أنه شديد الحساسية ويجفل من أى محاولة للاتصال . ولا يبقى غير الاستعانة بمن يعلم ما فى أنفسنا ولا نعرف ما فى نفسه سبحانه .. فى يقينى أن الله وحده هو الذى يملك أن يمد يد العون . وبغير عون الله تعالى يموت هذا الحفار داخلنا أو تنهار عليه جدران المنجم ويضيع الكنز الإنسانى داخلنا .

وحين يفقد الإنسان كنزه الداخلى يفقد قدرته على الحب . ويصير فقير الروح وإن كان جسده يملك الملايين ..

وما أكثر الأغنياء الذى يراهم الناس فقراء .. وما أكثر الفقراء الذين يراهم الناس أغنياء ..

أيضا .. ما أكثر حمق الذى يترك جدران منجمه تنهار على الحفار . وينشغل بالبحث عن الكنز خارج نفسه ..

(١) تحتمس ٤٠٠ بشرطة

يبدو لى أننا سنتوقف عن اكتشاف أمريكا فترة حتى ينتهى شهر رمضان ، وخلال هذا الشهر الكريم ، سوف نحكى للقارئ قصة إطلاق أول صاروخ مصرى للقمر .. فعلى خين غرة ، وبمناسبة شهر رمضان المفترج ، أطلقت مصر سنة ٢٠٠٠ أول مركبة فضاء إلى القمر ..

الزمان : سنة ٢٠٠٠ .

المكان : قاعدة زينهم الفضائية الضخمة .

بدأ العد التنازلى فى القاعدة .. عشرة .. تسعة .. ثمانية .. سبعة .. ستة .. وفجأة توقف العد ، أدرك العلماء أن عطلا غير مفهوم قد أصاب جهاز العد الألكترونى ، ولم تطل حيرة الموظف المسئول عن الجهاز أكثر من ثانية ، فقد مد يده وخبط الجهاز على رأسه كما نخبط الراديو حين يسكت فعاد الجهاز إلى العد .. وهكذا أثبتت الأجهزة المصرية أنها لا تعمل إلا بالسك .

حارت وكالات الأنباء فى تفسير هذه الخبطة القوية التى جاءت بين الستة والخمسة ، وتباينت تفسيرات علماء الدول فيها ، فمن قائل إنها اختراع مصرى جديد ومن قائل إنها مفاجأة لم يكشف الستار عنها بعد ، المهم أن جهاز العد الألكترونى عاد إلى مهمته وأكمل العد حتى وصل إلى الصفر ..

واشتعل وقود الصاروخ بصوت مدو عظيم ، وانطلق الصاروخ صاعداً فى السماء وقد خرج اللهب من مؤخرته . ثم راح يبتعد ويصغر حتى تلاشى فى الجو.. وسجلت عدسات السينما والتليفزيون وكاميرات التصوير المشهد المهيب الرائع ، كما سجلت الكتابة الموجودة على الصاروخ .

« ما تبصليش بعين ردية .. بص للمدفوع فيه » .. كما سجلت العدسات هذه الخمسة وخميسة الزرقاء التى وضعها وزير الفضاء الكونى المصرى بيده على جسم الصاروخ جلباً للحظ ودفعاً لعين الحسود ..

وانطلقت أجهزة الأنباء فى الأرض كلها تدور بالخبر..

إن ثلاثة من رواد الفضاء المصريين قد انطلقوا فى أول رحلة للهبوط فوق القمر ، تم اختيار الثلاثة بالقرعة من بين عدد المتقدمين لأداء فريضة السفر إلى القمر ، وكانوا مائة وستة وعشرين ألفا ، السعداء الثلاثة هم بيومى وعتريس وتفيدة ، رجلان وسيدة رفضت السلطات الإدلاء ببقية أسمائهم على أساس أنها سر عسكرى .

وعلى شاشة تليفزيون القاهرة ، ظهرت مذيعة التليفزيون وهى تبتسم وتعلن الخبر قائلة : « صيداتى صادتى انتكلت أول صفينة فضاء مصرية الى الكمر ، الصفينة تحتمس ٤٠٠ بشرطة ، فشلت قبلها ٣٩٩ سفينة بدون شرطة من برنامج تحتمس لغزو الفضاء ، لكن المصريين الذين هم أحفاد الفراعنة لا ييأسين .

وهكذا استمرت المحاولات حتى انتلك تحتمس ٤٠٠ .. بشرطة » .

(٢) تحتمس ٤٠٠ بشرطة

لم تكد مذيعة التليفزيون تنتهى من اعلان خبر إطلاق أول صاروخ مصرى إلى القمر حتى دق أحد رجال المجمع اللغوى التلفون فى استوديو التليفزيون على الهواء ، وصرخ وهو يشد شعره ويلطم ان المذيعة تخطئ فى النطق والهجاء وأن هذه مناسبة تاريخية ولايجوز ، غير أنهم حدثوه أن أى شكوى شفهية لايلتفت إليها وعليه أن يقدم شكوى رسمية على ورقة دمغة لمدير إدارة الأصوات اللغوية فى التليفزيون ، ليقوم بتحويل الشكوى إلى المذيعة للرد عليها قال عضو المجمع اللغوى ان العالم كله يتفرج علينا ، ومن لا يشترى يتفرج ، وإن هذا عيب ، غير أن الاتصال التلفونى انقطع لورود رسالة من سفينة الفضاء كانت الرسالة تقول :

« السرعة خمسة أضعاف سرعة الصوت .. الأجهزة كلها تعمل .. جهاز التسيير الألى يشتغل بمنتهى الكفاءة .. السفينة داخل الغلاف الهوائى .. ونحن جميعا بخير ونرسل السلام للعائلة والأولاد » .

وفى مبنى الفضاء المقام على شكل حدوة حصان فى قاعدة زينهم الضخمة ، كان العلماء يتواثبون ويقفزون ويصرخون من الفرح .. كانوا يحلمون بإرسال إنسان مصرى واحد للفضاء وهاهم يرسلون ثلاثة ..

وسيتم الزواج فى الفضاء بين اثنين منهما لدراسة تأثير الفضاء على النسل البشرى كان الحلم رائعا وقد تحقق أخيراً ..

وأمام شاشة التليفزيون جلس العالم المصرى عبد ربه أمام أجهزة التصوير ليتحدث عن الوقود المصرى الجديد الذى سيدفع الصاروخ إلى القمر ويعيده إلى الأرض .. قالت له المذيعة : حضرتك تعبت كثير فى اختراعك ..

قال العالم المتواضع : الفضل لتوجيهات السيد مدير إدارة الفضاء ..

وانتقلت آلات التصوير إلى مدير إدارة الفضاء فقال : بصراحة .. الفضل يرجع لتوجيهات السيد مدير عموم الفضاء وتركزت آلات التصوير على مدير عموم الفضاء ، وهنا ابتسم الرجل بتواضع وقال : بمنتهى الصراحة .. الفضل يرجع لتوجيهات السيد الوكيل الأول لوزارة الفضاء .. وحين انتقلت آلات التصوير إلى السيد المذكور أفاد بأن الفضل كله يرجع لتوجيهات السيد وزير الفضاء الكونى ، وهنا قالت المذيعة : كان نفسنا السيد الوزير يكون معانا .. لكن للأسف فيه ماسورة مجارى ضاربة فى الشارع بتاعه وهوه متحاصر دلوقت . وأول ماربنا ينجيه حنعمل معاه حديث ..

(٣) تحتمس ٤٠٠ بشرطة

كانت أجهزة النبض الحرارى الكونى المبثوثة فى قاعدة زينهم الفضائية الضخمة تقول إن نبض بيومى عادى ، وإن نبض تفيدة عادى أيضا ، أما نبض عتريس فكان يسرع ويبطىء لأسباب غامضة ، وأثارت هذه الظاهرة قلق العلماء والأطباء وأدركوا أن هناك شيئاً غير عادى ، وتساءلوا أيمكن أن يكون عتريس مخضوضاً من الرحلة .. ولكنهم ما لبثوا أن استبعدوا هذا الظن ، فقد كان عتريس خلال التجارب المماثلة على الأرض أثبت الثلاثة أعصاباً وأقواهم قدرة على التحمل ، وانتظر العلماء تفسير هذه الظاهرة حين يفتح الخط التلفونى بينهم وبين سفينة الفضاء لسؤال عتريس .. وحين فتح الخط قال كبير أطباء القاعدة مخاطباً عتريس ..

هل أنت بخير يا عتريس . ؟ هل هناك ما يشغلك ؟ إن نبضك يسرع ويبطىء .. هل لديك تفسير لهذه الظاهرة ؟

قال عتريس بصوت واضح ولكنه مرتعش : لقد نسيت البطاقة الشخصية على الأرض ، ولست أعرف كيف أهبط على القمر بغيرها قال كبير الأطباء : أليس مع بيومى بطاقة ليضمنك ..

قال عتريس بعد سؤال زميله : معه بطاقة ..

قال كبير الأطباء : اتصلنا بوزارة الداخلية وأفادت أن البطاقة ستكون جاهزة عند عودتك إلى الأرض ، انصرف عن التفكير فى هذه المشكلة

وتذكر أنك مسئول عن حمل خمسة كيلو من صخور القمر إلى معامل زينهم الكونية .. اعط التلفون لبيومى ليتحدث إلى زوجته التى تريد تهنئته ..

أمسك بيومى بالتلفون وسجلت الإذاعات والتليفزيونات ووكالات الأنباء صوت زوجة بيومى وهى تقول له فى اشتياق .

ـ ازيك يا بيومى .. أنت واحشنى خالص ..

قال بيومى : يا سلام .. يعنى لحقت أوحشك .. وأنا طاير فى الصاروخ من ساعتين بس ..

قالت الزوجة : ما هم ساعتين كتير يا بيومى .. والنبى يا شيخ ومن نبى النبى نبى إوعك تنسى تجيب لماما حتت ديولين ، والا ساتانيه والا اللى يطلع من ذمتك .

قال بيومى : هو فيه فى القمر قماش .. انتى فاهمه إن احنه طالعين رحلة .. دى مهمة إنسانية ياوليه ..

قالت الزوجة : سايقة عليك النبى ياشيخ لتجيب لنا حاجة رمضان .. الدنيا بقت بالغلا والكوا .. وربنا يخليك يا بيومى وكفاية دخلتك على عيالك .

استمر تبادل الأحاديث الودية بين رواد الفضاء وعائلاتهم ثم أغلق الخط على أن يتم اتصال بعد ست ساعات .

(٤) تحتمس ٤٠٠ بشرطة

خلال الساعات الست التى أغلق الاتصال فيها بين سفينة الفضاء المصرية ومحطة المراقبة الأرضية ، كانت الإذاعة المصرية والتليفزيون المصرى يقومان بأخطر تغطية للغزو المصرى للفضاء ..

وفى جلسة تاريخية عقدت بين مديرى البرامج ومدير عام مشروعات الفضاء ، تقرر أن تذاع جميع الأغانى التاريخية والجغرافية القديمة عن القمر .. وأيضاً الأغانى الجديدة التى ألفت بهذه المناسبة .

وهكذا استمع الناس إلى أغنية محمد عثمان « قمر له ليالى .. يطلع لم يبالى ، عا البستان ينور .. من قوله يا عينى » .

سمعوا أغنية شوقى بك « القمر فى سماه والبان فى عوده » .
سمعوا أغنية أم كلثوم « احنه معانا بدر .. طالع فى ليلة قدر » .
سمعوا أغنية جغرافية تقول « يا امه القمر عا الباب » ..
سمعوا أغنية تاريخية تقول « غاب القمر يا ابن عمى .. يلا روحنى » .
سمعوا أغنية حديثة تقول « يا امه القمر حيا كلنى » ..

ومع هذا السيل من الأغانى المتدفقة .. كان الناس يرقصون فى الشوارع . وانتشر تيار الفرحة وفاض على البلاد وأغرق قلوب العباد ، فلم يبق مخلوق واحد لم يهزه الطرب ، ولم يستول عليه العجب ..

وكان الناس ينتظرون ظهور وزير الفضاء الكونى ليتحدث فى التليفزيون

وكان الرجل قد حوصر بسبب انفجار ماسورة مجارى فى الحى الذى يسكن فيه ، الأمر الذى منعه من الحضور ..

واستمرت المحاولات لاختراق البحيرة المائية التى حاصرته . ثم تطوع أحد المراكبية وأحضر قارباً وأنزله فى البحيرة الطافحة وراح يجدف حتى وصل إلى بيت وزير الفضاء . وهناك هبط الوزير بسلام إلى المركب . واستطاع الملاح الماهر أن يخرج به من المياه المضطربة إلى بر السلام ، ومن هناك استقل سيارة نقلته إلى التليفزيون ..

وحاصره الصحفيون على سلالم التليفزيون ولكنه لم يصرح بشىء . سألوه أين كان مختفياً فقال إنه عقد اجتماعا هاماً يتصل بشأن مركبة الفضاء ..

وظهر وزير الفضاء أخيرا على شاشة التليفزيون ، استغرقت المذيعة عشر دقائق فى الترحيب به . ثم حدثته عن العلماء الذين أسندوا الفضل إليه..

قال الوزير بعد ابتسامة عذبة :

إن العلماء جميعا يكذبون .. لا فضل لتوجيهاتى فى الموضوع .. الفضل كل الفضل يرجع لتوجيهات السيد رئيس الوزراء ..

(٥) تحتمس ٤٠٠ بشرطة

قالت مذيعة التليفزيون لوزير الفضاء المصرى وهى تبتسم بلطف : يهمنا قوى أنك تقدم نفسك للجمهور ، حضرتك النهارده نجم مصر كلها .. انت اللى بعت ثلاثة القمر .. احنه مش عارفين نشكرك ازاى ..

قال وزير الفضاء وهو يتلفت حوله بذعر : أنا ما بعتش حد .. بقول لحضرتك اللى حصل ده حصل بفضل توجيهات السيد رئيس الوزراء ..

قالت المذيعة : طبعا ده مفهوم يا فندم .. ممكن تقدم لنا بطاقتك الشخصية ؟

قال الوزير : البطاقة مع مراتى عشان تجيب بيها تموين ..

قالت المذيعة : قصدى اسم حضرتك ايه ، ايه اسم البلد اللى اتولدت وترعرعت فيها .

قال الوزير : اسمى الدكتور عبد السيد الكوالنجى .. من مواليد شطانوف مركز بحيرة حاصل على الدكتوراه من جامعة أيوه ..

قالت المذيعة : يا دكتور عبد السيد .. انت دكتوراهتك فى ايه ؟

قال الوزير : فى الكوالين والأقفال والمفاتيح الخاصة بأبواب سفن الفضاء ..

قالت المذيعة : ما شاء الله يا دكتور .. ما شاء الله .. أنت عندك كام سنة ..

قال الوزير : ٢٤ سنة فى يناير الجاى ، وعامل عيد ميلاد وعازم السيد

رئيس الوزارة وأرجو أنه يكون سامعنى دلوقت وييجى الحفلة ولا يطنش زى السنة اللى فاتت .

قالت المذيعة وهى ترقع ضحكة عالية : سيادتك لطيف قوى .. بيقولوا باب النجار مخلع .. يا ترى بيت حضرتك فيه بيبان ..

قال وزير الفضاء : سؤال بارد صحيح .. طبعا فيه بيبان ..

قالت المذيعة : يا ترى البيبان دى لها كوالين وأقفال ؟

قال الوزير وهو يضحك : بصراحة ما عنديش باب بيقفل .. كل البيبان كوالينها خسرانة واقفالها مزرجنة .. يمكن صدفة .. وجايز باب النجار مخلع .. حاجة غريبة .. وجايز يكون ميلة بخت ..

قالت المذيعة : كلمنا شوية عن دكتوراهتك ..

قال الوزير : الدكتوراه بتاعتى علمية مية فى المية وثورية مية فى المية .. حضرتك عارفة إن الأمريكان فى القرن اللى فات بعتوا كذا سفينة للقمر ، الروس بعد كده بعتوا كذا سفينة ، الفرنسويين بعتوا .. اليونانيين راخرين طلعوا القمر ، بقت هيصة فوق فى القمر .. كل واحد من دول يسيب باب سفينته مفتوحة .. حصلت حاجات مش لطيفة ، اتنشلت ساعة رائد فضاء أمريكانى ، ضاعت محفظة رائد فضاء طليانى .. بقت الدول مشكلتها مش ازاى تطلع القمر ، لا .. ازاى تقفل عليها أبواب سفن الفضاء فى القمر .. أنا لما عملت الدكتوراه بتاعتى كنت منبثق من الفكرة دى .. ازاى أعمل باب السفينة المصرية بحيث إنه لو اتقفل من بره لا يمكن ينفتح من جوه هو ده السؤال .

(٦) تحتمس ٤٠٠ بشرطة

قالت مذيعة التليفزيون لوزير الفضاء المصرى أثناء الحديث التاريخى .. مصر اتكلفت كام عشان تبعت صاروخ للقمر ..

قال الوزير : قصدك عا الأبحاث والا على ثمن الصاروخ نفسه ..

قالت المذيعة : قصدى الأبحاث .

قال الوزير : الأبحاث اتكلفت ٩٨٠ ألف بليون جنيه .

قالت المذيعة : يا نهار أبيض يا دكتور عبد السيد ..

قال الوزير : ولا أبيض ولا أسود .. الـ ٩٨٠ ألف بليون جنيه دول ماانصرفش منهم عا الأبحاث غير ٥ آلاف جنيه . الباقى راح مرتبات موظفين .. وزارة الفضاء فيها ٦ مليون موظف .. الصاروخ ده عشان يطلع القمر ما طلعش بالساهل ولا طلع أونطه . فيه ٢٩٠ ألف موظف حطوا إمضاءاتهم على ورق الصاروخ عشان الصاروخ نفسه ينطلق .. ولولا الإمضاءات مستوفاة والأختام صحيحة ماكانش الصاروخ اتحرك من مطرحه ..

قالت المذيعة : ثمن الصاروخ نفسه كام .

قال الوزير : ٣٠٠٠ جنيه مصرى والتسليم بعد خمستاشر سنة . أو ٤٠٠٠ دولار مع التسليم الفورى .

قالت المذيعة : أظن دلوقت نقدر نقول إن مصر بتعمل من الإبرة للصاروخ ..

قال الوزير : لا .. ما نقدرش .. الصاروخ آه لكن الإبرة لا .. بصراحة احنه فشلنا فى عمل الإبر والدبابيس .. ده مش عيب .. احنه حنتخصص فى

الصواريخ .. أصل كل حاجه عندنا بالمشقلب .. السهل يبقى صعب والصعب يبقى سهل .. العبقرية المصرية مبتظهرش إلا فى الصعب ..

قالت المذيعة : دكتور عبد السيد الكوالنجى .. حضرتك قلت لى انك متخصص فى عمل أبواب سفن الفضاء ..

قال الوزير : أيوه .. وده سر إن اسمى الكوالنجى ..

قالت المذيعة : حضرتك قلت إن باب سفينة الفضاء المصرية معمول بحيث إنه إذا اتقفل من بره - لا يمكن يفتح من جوه .

قال الوزير : تمام .

قالت المذيعة : طيب ازاى رواد الفضاء المصريين حيهبطوا عا القمر ..

قال الوزير : حيهبطوا زى الناس .. يفتحوا الباب وينزلوا ..

قالت المذيعة : ازاى حيفتحوا الباب من جوه وهوه مش بيفتح إلا من بره .

قال الوزير : يا خبر أسود ومنيل .. الحكاية دى راحت من بالى خالص .. لكن معلش - مش مشكلة .. احنه مسئوليتنا تنتهى عند إطلاق سفينة الفضاء المصرية .. مش شغلنا انهم ينزلوا عا القمر ازاى .. دى مسئولية وزارة القمر ..

قالت المذيعة : احنه بنشكرك يا فندم وبنسألك تحب تسمع أغنية إيه ؟

قال الوزير: أحب أسمع أغنية «من الإبرة للصاروخ ياقلبى لاتحزن»..

قالت المذيعة : صيداتى صادتى .. اليكم الأغنية .

(٧) تحتمس ٤٠٠ بشرطة

الصاروخ المصرى يزمجر فى الفضاء ، وقوة دفع المحركات تبلغ أقصى طاقتها ، ووسط سماء زرقاء صافية .. مضى الصاروخ المصرى يشق طريقه ببطء مهيب وسط سحابة بيضاء تتخللها أضواء أرجوانية ..

أعيد الاتصال بين سفينة الفضاء المصرية ومحطة المراقبة الأرضية وسئل بيومى أن يقدم تقريراً عن الصاروخ فقال :

ارتفع الصاروخ بسرعة أربعة آلاف ميل فى الساعة .. انحرف إلى الجنوب الشرقى منطلقا فوق المحيط .. جميع الأجهزة تعمل بكفاءة تامة .. انفصلت المرحلة الأولى من الصاروخ وبدأ عمل المرحلة الثانية .. تفيدة حالتها الصحية على ما يرام ولكنها تحس بالوحدة إلى حد ما وتقول إنها تريد أن ترى والدتها الحاجة لأنها وحشتها كثيرا ..

عتريس يشرف الآن على عمل المرحلة الثانية من الصاروخ ..

سأل مركز المراقبة الأرضية : لماذا يشرف عتريس على عمل المرحلة الثانية من الصاروخ هل تعطلت الأجهزة الألكترونية ؟

قال بيومى : لم تتعطل الأجهزة ولكن عتريس قال إنه يثق فى كفاءته أكثر من اطمئنانه للأجهزة ..

قال مركز المراقبة الأرضية : قل لعتريس يترك أجهزة القيادة للعقول

الألكترونية ولا داعى للفلحسة .. هل لديكم مشاكل أخرى .. هل تعشيتم جيدا ونمتم بشكل طبيعى ..

قال بيومى : ليست لدينا مشاكل وكل شىء على ما يرام ، ولكن تفيدة رفضت أن تأكل وقالت إن الطعام «صايص» وإنها تعودت على الأكل المسبك .. أما عتريس فقد أكل طعامه وطعام تفيدة ونام نوماً ثقيلاً كان يصدر فيه شخيراً قوياً منعنا نحن رواد الفضاء من النوم ..

قال مركز المراقبة الأرضية : لماذا لم تعدلوا رأسه لكى يكف عن التشخير .

قال بيومى : عبثا حاولنا إيقاظه أو استعدال رأسه ليكف عن التشخير ..

قال مركز المراقبة الأرضية : معلهش .. تحملوا قليلا ولا تكسفونا أمام العالم .. إن عيون العالم كلها مركزة عليكم .. هذه لحظات تاريخية ..

قال بيومى : حاضر ..

قال مركز المراقبة الأرضية : يحضر لك الخير يا بيومى . قبل أن تغلق الخط ستصادفكم مشكلة بسيطة على القمر ، إن باب سفينة الفضاء مغلق ولا يفتح إلا من الخارج .. كيف تنوى التصرف .

قال بيومى : لا تقلقوا مطلقا .. معنا طفاشة الكترونية لحالات الطوارئ ..

(٨) تحتمس ٤٠٠ بشرطة

لم ينم من المصريين أحد ليلة إطلاق الصاروخ تحتمس ٤٠٠ بشرطة .. أحس سكان الديار المصرية جميعا بالزهو كأنهم شربوا محيطاً من الخمر الرديئة وفى قاعدة (كيب زينهم الفضائية الكبرى) .. اجتمع ما يقرب من نصف مليون مواطن . وحمل جميع المصريين معظم الكلوبات فى مدينة القاهرة إلى مكان الاجتماع . فتحول الليل إلى نهار .. واستغلت شركة النصر لإنتاج الطعمية والفول الموقف أفضل استغلال فذهبت السيارات الأوتوماتيكية إلى مكان التجمع . وكانت هذه السيارات عبارة عن ماكينات كبيرة تضع فيها الجنيه فتخرج لك الماكينة سندوتش فول وسندوتش طعمية ، وكان ثمن سندوتش الفول قد وصل سنة ٢٠٠٠ إلى نصف جنيه . وصار أهل هذا الزمان يتندرون على أيام أجدادهم الذين كانوا يأكلون السندوتش المماثل بشلن ، وكانوا يعتبرون أن أجدادهم عاشوا فى عصر سعيد إذ كانوا يأكلون فيه ببلاش ..

ولم يكن الجنيه المصرى سنة ٢٠٠٠ كالجنيه المصرى قبل ذلك .. فقد اكتشفت مصر أنها تسبح فوق بحيرة من البترول ، واستخرج المصريون البترول بمصادفة سعيدة ودون أن يقصدوا استخراجه .. فقد حدث سنة ١٩٧٧ وسنة ١٩٧٨ أن بدأت الحكومة المصرية يومئذ عملية حفر ضخمة للشوارع بهدف إصلاح التليفونات والمجارى والمياه ، ورغم استمرار الحفر وشدته لم تتحسن أحوال هذه المرافق الثلاثة .

وتأكد لدى الشعب الذكى أن الحكومة بصدد البحث عن شىء لا تريد التصريح به . وأكدت الأيام صدق هذا الظن فقد تفجر البترول فى شارع الجلاء وشارع ٢٦ يوليو وتفجر تحت كوبرى ٦ أكتوبر وتحولت القاهرة ذات صباح إلى بئر بترول كبيرة ، واغتنى المصريون ولعبوا بالفلوس لعباً ، وقفز سعر الجنيه المصرى من تعريفة فعلية إلى شلن إلى نصف جنيه إلى جنيه إلى ثلاثة جنيهات وظل سعره يرتفع حتى وصل ثمن الجنيه المصرى فى السوق السوداء إلى ٦ دنانير كويتية و ٧ دنانير أردنية و ٤٠ ليرة لبنانية .. عندئذ أصدرت الحكومة المصرية قراراً اعتبره الاقتصاديون عندئذ طيبة قلب . ولكن القرار كان يقضى بحبس من يبيع الجنيه المصرى بأكثر من أربعة دنانير كويتية .. وإذن فلم يكن شيئا غريباً أن يكون سندوتش الفول بنصف جنيه ، فقد صار أصغر مرتب فى الدولة المصرية يبدأ من ٢٥٠ جنيها . وكان هذا هو مرتب خفير شونة بنك التسليف الزراعى ، سهر المصريون ليلة إطلاق الصاروخ فى قاعدة الإطلاق ، وأكلوا وشربوا حتى تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود ..

واستمر التليفزيون على إرساله حتى الفجر ، واستمر بعد الفجر .. ثم صدرت الصحف فى صباح ليلة إطلاق تحتمس ٤٠٠ بشرطة ..

(٩) تحتمس ٤٠٠ بشرطة

جاء الصباح أخيراً .. وخرجت الصحف المصرية وصفحاتها الأولى محتلة بأخبار غزو الفضاء المصرى بالسفينة تحتمس ٤٠٠ بشرطة ..

استعد التليفزيون أيضا ببرنامج خاص عن غزو القمر .. واقتصرت الإذاعة على إذاعة الأناشيد العسكرية الخاصة بالقمر .. وكانت خبطة الأغانى أغنية لمطرب القمر الصاعد فانوس حسن .. وكانت كلمات الأغنية تقول «قلنا حنغزو وادى احنه غزينا القمر العالى» ..

وقرأ الناس فى صبيحة هذا اليوم التاريخى عناوين جريدة الأهرام .. كان العنوان الرئيسى وقوراً كالعادة : أول ثلاثة رواد فضاء مصريين فى رحلتهم التاريخية إلى القمر .. «رجلان وامرأة فى السفينة تحتمس ٤٠٠ بشرطة يستعدون غداً للهبوط على سطح القمر» .

آثرت جريدة الأخبار أن تختار عنواناً مثيراً فقالت : تفيدة أول رائدة فضاء مصرية تقول للأخبار قبل سفرها : دى قسمتى وآخرة صبرى» .

قالت جريدة الجمهورية : أذاعت وكالات الأنباء خبر انطلاق سفينة فضاء مصرية إلى القمر ، وقد أرسلنا مندوبنا لتحرى الحقيقة فخرج ولم يعد» .

أما جريدة الأهالى اليسارية فقد صادرتها السلطات لأن عنوانها الرئيسى

كان يقول «لا تفرحوا .. ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع ، هذه ذقنى إن لم تفشل سفينة الفضاء » .

وقد جاء فى حيثيات الحكم أن العنوان جاء مثبطا للهمم والعزائم ، وأن المقال جاء مليئا بالشتائم ..

أما التليفزيون المصرى فاستولى على العيون والألباب ، ببرنامج أعجب من العجب العجاب .. إن أشهر راقصة مصرية سنة ٢٠٠٠ توتو ملبن قدمت على امتداد ثلاث ساعات كاملة رقصتها الجديدة التى قالت فيها للقمر «قوم وأنا أقعد مطرحك » .. تخللت الرقصة فقرات علمية كانت تشرح بأفواه المتخصصين أشياء فى غاية الأهمية ..

قال أول المتحدثين دكتور سعيد سعاده «إن هزات جسم الراقصة تتم بشكل علمى محكم ، وكل تقصيعة من وسطها تعبر عن فجوة من فجوات السطح القمرى ، كما أن الراقصة توتو ملبن قد شرحت بانتفاضات صدرها وحركة ساقيها كل ذبذبات الجو الأيونى .. كما أن حركة دورانها وهى تمسك الإيشارب ، تشبه حركة دوران القمر » .

قدم آخر المتحدثين الدكتور جهبذ المطمئن تحليله للرقصة وختم بقوله :

«إن الراقصة قد قالت للقمر فعلا «قوم وأنا أقعد مطرحك » .. وهذا إعجاز علمى .. حرسها الله ومتعها بالصحة ، وجعلنا فى صاروخ يتجه إليها » .

(١٠) تحتمس ٤٠٠ بشرطة

حين فتح الاتصال بسفينة الفضاء فى اليوم الثانى فوجىء مركز المراقبة الأرضية أن التليفون الألكترونى استمر يدق فى السفينة أكثر من ثلاث دقائق بغير رد .. وقلق مركز المراقبة الأرضية ورفع درجة الاستعداد إلى الحد الأقصى .. ثم جاء صوت عتريس أخيراً من أعماق الفضاء .. كان صوته حانقا وهو يقول :

حاضر .. حاضر .. أرجو الانتظار قليلاً حتى أرى ما أمامى لأن الدنيا كحل . سأل مركز المراقبة الأرضية : هل تصادفك أى مشاكل يا عتريس ؟

قال عتريس : ظننت فى البداية أننا أصبنا بالعمى نتيجة نوع جديد من الإشعاعات الكونية الضارة .. ولكن الله لطيف رحيم ، إتضح أن نور مركبة الفضاء قد انطفأ .. فى المرة الأولى أصابتنا خضة شديدة ، ثم تعودنا على انقطاع النور بعد ذلك ..

سأل مركز المراقبة الأرضية : كم مرة انقطع النور ، وما هو تأثير الظلام على قيادتك للأجهزة ؟

قال عتريس : انقطع النور ثلاث مرات .. وأخشى أن تكون السفينة متجهة الآن إلى المريخ بدلاً من القمر .

قال مركز المراقبة الأرضية : لا تخش شيئاً لأن السفينة مزودة بجهاز

الكترونى يصحح مسارها على الدوام .. لا تقلق من انطفاء النور ، اتصلنا بوزارة الكهرباء فاتضح أن هناك كابلاً أرضياً مساعداً يغذى سفينة الفضاء قد سرق . والبحث جار عنه فلا تقلق .. هل هناك مشاكل أخرى .

قال عتريس : هناك مشكلتان صغيرتان لا أريد أن أشغلكم بهما .

قال مركز المراقبة : قل يا عتريس كل مشاكلك ونحن على استعداد لتبرير عدم حلها لك على مراحل .

قال عتريس : المياه مقطوعة منذ ٤ ساعات .. انقطعت قبل النور الأول بنصف ساعة ، وهناك خلل طفيف فى صمامات دورة مياه سفينة الفضاء . فهى قد طفحت إلى حد ما .. ونحن ننزح المياه فى ظلام حالك يشبه كحل العيون .

قال مركز المراقبة الأرضية : تعبيرك يا عتريس فيه جمال كونى لطيف .. أنت شاعر يا عتريس .. لا تقلق .. سفينتكم قد زودت بجهاز ألكترونى مزدوج بالكهرباء . فهو ينظم إضاءة المركبة إذا تعطل الكابل الأرضى . وهو ينظم تقطير المياه من الهواء المحيط بكم ، وهو نفسه المسئول عن ضبط صمامات المجارى والتهوية ، فإذا تعطل هذا كله فالجهاز نفسه يستطيع تبرير هذا العطل الفنى وإقناعك به .. متى تتوقعون الهبوط على القمر ..

قال عتريس : بعد ١٨ ساعة و ٣٦ ثانية وجزء على خمسة وعشرين ألف جزء من الثانية ، بتأخير قدره ١٨ ساعة فقط ..

نهـــاية تحتمس

انقضى النصف الأول من شهر رمضان والعبد لله يكتب عن صاروخ يتجه للقمر . ذلكم هو الصاروخ تحتمس ٤٠٠ بشرطة .. وقد سبب اختيار هذا الاسم أكثر من مشكلة . أول هذه المشاكل جاء من الملك الفرعونى الراحل تحتمس .. جاءنى غاضبا ثائراً يسأل :

ـ مالقيتش غير إسمى أنا تحطه عا الصاروخ .. حضرتك بتتريق علينا ..

قلت له : أنا يا مولاى .

قاطعنى بثورة : أرجوك .. ما تردش علىَّ إلا لما أخلص كلامى .. إنت فاهم إن أنا أسمح اسمى يتحط على صاروخ بيقفل من بره ولا يفتحش من جوه ..

قلت له : يا مولاى ..

قال تحتمس : ولا كلمة .. أرجوك تشيل إسمى فوراً من على الصاروخ .. اختر له أى اسم تانى من التاريخ .. قلاوون .. قطز .. قطر الندى .. إنما إيه تحتمس دى . صحيح الخلف التالف يجيب لأهله الشتيمة .. إنت عمال تكتب كلام فارغ واحنه عمالين ننشتم بسببك !

قلت له : يا مولاى ..

قال : اسمح لى انسحب ..

انصرف الملك تحتمس غاضباً وتركني أواجه المشكلة وحدى .. ماذا أفعل الآن لو رفعت اسمه من الصاروخ ..

كيف أتصرف فى هذا الصاروخ المنطلق للقمر .. هل صحيح أننى كنت أكتب كلاماً فارغاً .. هل صحيح أن قدماء المصريين غضبوا على .. ما هو الحل فى باب الصاروخ الذى يفتح من الخارج ولا يفتح من الداخل .. هل يظل الصاروخ يحوم حول القمر .. أم ينطلق إلى المريخ ..

هل يخرج منه رواد الفضاء أم يمكثون فيه للأبد ..

مشاكل كثيرة تواجهنى . وأفضل ما يمكن عمله هو تأليف لجنة لدراسة هذه المشاكل . وهكذا استقر رأيى على ترك الصاروخ المنطلق فى الفضاء بكل مشاكله لهذه اللجنة ، وهى لجنة لم نختر أعضاءها بعد ولكننا سنختارهم قريبًا ..

١٠ وصـايا للمـشى فى الشـوارع

تتغير عادات الإنسان إذا تغيرت ظروف حياته .. ويتغير شكل الإنسان إذا تغير نوع طعامه ، وتتغير مشية الإنسان إذا تغير قلب شارعه ، ويتغير وجه الإنسان إذا لم يغسل وجهه ، وسكان مدينة القاهرة هم سكان أعجب مدينة فى العالم .

إن المشى فى شوارع القاهرة قد صار فنا قائما بذاته مثل فن النحت أو الشعر أو المسرح ، وقديما كان المشى يتكون من تحريك القدمين واليدين بطريقة منتظمة ، أما اليوم فقد تطور المشى تبعا لتطور الشارع ، وصار على الإنسان أن يمشى بالأسلوب البطىء الذى سار به التلاميذ فى مدرسة المشاغبين ، يرفع قدما ويخفضها فى مكانها ، ويتحرك خطوة إلى الأمام وخطوتين للوراء ، والحاجة أم الاختراع كما يقولون ، والحاجة لهذا المشى قد صارت فرض عين على كل إنسان أن يؤديه ، ولو لم يفعل السائر ومشى كما كانوا يسيرون لسقط فى بلاعة أو حفرة أو شرك أو مصيدة أو خرم غائر أو مصيبة ..

ونظرًا لظروف الشوارع الحالية فقد اجتمعت الرؤوس المفكرة فى البلدية وأصدروا الوصايا العشر للمشى فى الشوارع ..

الوصية الأولى : انظر أمامك وتذكر قول الشاعر العربى : قدر لرجلك قبل الخطو موضعها ..

الوصية الثانية : مد قدميك أمامك وتحسس الأرض برفق ، فقد تنهار ..
الوصية الثالثة : إحمل معك حبلا وخطافا ، فقد تقع فى حفرة ..
الوصية الرابعة : التأمين على الحياة يساعدك ويساعد أولادك ..
الوصية الخامسة : سر ببطء شديد .. فى التأنى السلامة ، وفى العجلة الندامة ..
الوصية السادسة : اكتب وصيتك قبل أن تسير.
الوصية السابعة : اقرأ الفاتحة وبعض قصار السور وأنت تمشى ..
الوصية الثامنة : احمل معك عصا لتبحث عن بقايا الرصيف ..
الوصية التاسعة : المشى الكثير يفيد المعدة .. ولكن عواقبه غير مضمونة ..
الوصية العاشرة : عد سالما لأهلك ، ولا تخرج من بيتك إلا فى الشديد القوى .

هذه هى الوصايا العشر للمشى فى الشوارع ، وقد اتفقت آراء الفقهاء من رجال البلدية أن للمشى أخطاره ، ولكن الحياة فى خطر هى صيحة الفيلسوف نيتشه .. عيشوا فى خطر .. هكذا قال .. وإذا قال نيتشه فقد قال ، ذلك لأن الحياة فى الخطر تشحذ الهمم وتوقظ الأذهان والذمم وتقوى القلب والرئتين وتشد المفاصل فتخلعها .. والحياة فى قلب الخطر أفضل من العيش فى ربوع السلامة ، والمثل الجديد يقول إن للمرور السلامة وللمشاة الندامة ..

إليكم حل أزمة المواصلات

لنا صديق فيلسوف ، وهو مجنون بحب الحكمة ، وأحيانا مجنون فقط . وقد حدثني أنه جاء يحمل إلىّ الحل النهائى لأزمة المواصلات ، ولما كنت أعرف أن الحكومة والشعب قد داخا معا لحل هذه الأزمة . فقد استمعت اليه ، وكلى آذان صاغية .. قال صديق : إن سر زحام المواصلات ، وسر أزمة المواصلات ، أن الموظفين يذهبون إلى أعمالهم . صح ؟ .. قلت له : صح .. قال : عظيم جدا .. اقتراحى بسيط ، وهو لا يكلف الحكومة مليما واحدا ، ولا يكلف الناس مليما واحدا .. الاقتراح يوفر للجميع . لا داعى لذهاب كل موظف إلى عمله ، يصدر قرار بأن يذهب كل موظف إلى أقرب مصلحة حكومية من بيته .. لا يركب المواصلات ولا يحزنون .. يختار أقرب مصلحة لبيته ويذهب إليها ..

سكت صديق . فلم أفهم ماذا يريد أن يقول .. انتظرت أن يكمل حديثه . ولكنه كان صامتا .. قلت له : وبعدين ؟ .. قال : ولا قبلين .. قلت له : أين حل مشكلة المواصلات ؟ .. قال : لقد حدثتك عن الحل ..

قلت له : لا شك أنك تضيع وقتى وتمزح ، وأنا رجل رصين ووقور ، ولا أحب المزاح . أين حل مشكلة المواصلات ؟ .. كيف يذهب طبيب إلى أقرب مصلحة من بيته ؟ .. ربما كانت السلخانة هى أقرب مكان لبيته ؟ .. كيف يذهب موظف فى مصلحة الطرق والكبارى إلى أقرب مكان من بيته .

إذا كان هذا المكان ديوان المحاسبة ، أو المستشفى الأميرى ، أو مصلحة التليفونات .. ؟

ما معنى هذا ؟ .. كيف يعمل محام فى مستشفى ؟ .. وكيف يذهب الطبيب المتخصص إلى مصلحة حكومية كمصلحة المجارى ؟ .. كيف يشتغل فيها وهو ليس متخصصا ولا خبيرا .. ؟

قال : لا تنزعج يا سيدى ، واسمع بقية الاقتراح ، إن التخصص لا معنى له فى مصر ، إن معظم الموظفين فى المصالح الحكومية يقولون للناس : فوت بكره ..

هل تحتاج هذه الكلمة إلى التخصص ؟ .. هل يتسابق الطلبة كالمجانين فى الثانوية العامة ، ثم يهلكون فى الدراسة الجامعية ، ثم يتخرجون ، ثم يتمرمطون فى الخدمة العامة ، ثم يستسلمون للقوى العاملة ، ثم يتوزعون على المصالح ، أيحدث كل هذا لينتهى المطاف بكلمة فوت بكره .. ؟

ألست معى فى أن الأفضل أن يذهب كل موظف إلى أقرب ديوان من بيته أو أقرب مصلحة حكومية .. إن هذا الاقتراح سيوفر المواصلات ، لن يركب المواصلات أحد .. ستخلو المواصلات تماما .. ستمشى الاوتوبيسات فارغة ، وستدلل على من يركبها فلا تجد ، وسيقف السائق جوار المحطات الخالية ويقول : يا عالم يا هوه .. حد يركب الأوتوبيس .. أنا خايف وأنا سايقه فاضى كده ..

سكت صديقى ، فرحت أفكر فى اقتراحه .. ثم سألته : طب يقبضوا إزاى ؟ .. قال الفيلسوف : معلش يا سيدى .. يبقى يروحوا المصالح الأصلية يقبضوا منها .. الأوتوبيسات حتنزحم يوم واحد كل شهر .. هو يوم ٢٩ ..

الأوتوبيس عندكم فاضى

أقسم بالله العظيم ثلاثا أننى شاهدت فى باريس أوتوبيسا خاليا .. نعم .. كان الاوتوبيس فيه مقاعد خالية .. لم يكن فيها زحام ، ولم يكن عليه صراع تستخدم فيه الأيدى والأقدام ، ولم يكن الناس يبظون منه ، ولم يكن هناك أحد يتسلق ظهر الاوتوبيس اذا اعتبرناه حمارا ، وسقفه إذا اعتبرناه بيتا .. كان الاوتوبيس عاديا .. طبيعيا .. وكانت فيه مقاعد خالية ، كنت ذاهبا إلى موعد هام .. موعد فى غاية الخطورة .. موعد يتوقف عليه مستقبلى كله .

لم أهتم ، لم أستطع أن أقاوم منظر الاوتوبيس الخالى فركبت .. لم أكن أعرف إلى أين يدب الاوتوبيس ، لم أكن أعرف اتجاهه .. إن منظر الاوتوبيس وهو خالٍ من داخله كان يثير فى خيالى سحرا لا يقاوم .. وهكذا صعدت السلالم وركبت الاوتوبيس .. بصراحة .. كان أحد أحلامى فى القاهرة أن أرى أوتوبيسا من داخله ، نسيت شكل الاوتوبيس من الداخل .. حيطانه .. مقاعده .. الأعمدة الحديدية . الجلد الذى يتدلى من العمدان ، أرضية الاوتوبيس .. نسيت كل هذا كما ينسى المرء وجه حبيبة قديمة وإن ظلت مرارة فراقها فى قلبه ..

ركبت الاوتوبيس .. كان خاليا .. أقسم بالله العظيم ثلاثا أنه كان خاليا .. لست أكذب .. يجب أن يصدقنى القارئ . رحت أتأمل

الاوتوبيس من داخله .. أردت أن أتحسس المقاعد الخالية كما يتحسس عاشق مغمض العينين وجه حبيبته .. أردت أن أطبطب على الركاب المؤدبين وأردت أن أعانق الكمسارى اللطيف وأقبل يد السائق المحترم .. جلست فى مكانى .. الكرسى بجوارى خال .. نظرت إلى الكرسى الخالى ووضعت يدى عليه .. ياربى أهذا حلم أم علم .. طفرت الدموع من عينى فلم أعرف ما الذى يبكينى .. سألنى أحد الركاب : يا مسيو .. ما الذى يبكيك .. صعبت على نفسى أكثر فانخرطت فى البكاء .. التف حولى الركاب وعادوا يسألوننى : ماذا يبكيك أخيرا قلت بالفرنسية المكسرة : الاوتوبيس عندكم فاضى وعدت أنهنه .

انتحـــار ترمـــواى

أنا الترام الذى احترق أخيرا ونشرت الصحف صورته . ولقد تصور كثير من البشر أننى احترقت قضاء وقدرا . وهذا غير صحيح . لقد انتحرت عامدا متعمداً رغم علمى أن الانتحار حرام شرعا . ولكن ماذا أفعل ! ! سأحكى قصتى وأرسلها إلى صندوق الدنيا لعل الناس تفهم مالم تفهمه من ألسنة اللهب التى تصاعدت منى وأنا أغادر دنياكم التعسة .

أنا أصلاً ترام . وقد كنت سعيداً حين خلقنى الله تراما . كنت أحمل الناس إلى عملهم وأساعد أبناء آدم وبناته . وكان شكل الشوارع نظيفا وعدد الركاب معقولاً والكمسارى يرتدى بدلة تميزه عن غيره والسائق أنيق ومحترم . ولم تكن لدى شكوى . ومر الوقت . وكانت بداخلى لافتة تقول جلوس ١٢ ووقوف ٩ أى أن العدد الكلى كان ٢١ . وكانت بداخلى مقصورة للسيدات فقط . ثم فوجئت يوما أن عدد الجالسين ٢٤ وعدد الواقفين ٩٠ . واشتدت دهشتى من الزحام وبدأت أختنق . كانت هناك لافتة من الحديد مكتوب عليها ممنوع التدخين فأكلها أحد الأطفال يوما كأنها قطعة من الشيكولاتة . وزاد الزحام واشتد وفاق كل حد بصراحة . بدأ جهازى التنفسى يفسد وبدأت عظامى الحديدية والخشبية تطقطق وتزيق وتتوجع ومر الوقت وزادت متاعبى النفسية . فقد كان الزحام يؤدى إلى زنقة الناس . ولاحظت أن القيم الأخلاقية لم تعد تستطيع أن تتنفس داخلى . وتذكرت الأيام القديمة حين كان الكمسارى يصلى داخلى وقارنت

بين ماكان يحدث وما يقع اليوم من مخاز فاشتد وجعى النفسى ثم تقدم الوقت وصار عدد الجالسين ٢٠٠ وعدد الواقفين يقرب من ٦٠٠ واختلط الحابل بالنابل وصعد الناس فوق ظهرى وكان العيال يتعلقون بالسنجة ويشدونها والسنجة بالنسبة للترام مثل زر الطربوش عند الإنسان . فهى دليل على احترامه ووقاره . وشد زر الطربوش إهانة بالغة .. وقد ابتلعت الإهانة ألف مرة حتى مرضت وتفاقمت أوجاعى النفسية . ومر الوقت ولم أعد أستطيع أن أحتمل وكنت أتطوح وأنا سائر حتى خشيت أن أخرج عن القضبان يوما . ثم زاد الزحام واشتد وفاقت الفوضى كل حد . وصار الكمسارى يصعد إلىَّ وهو يرتدى البيجاما . أما السائق فراح يربط ذراع عجلة القيادة الداخلى بشراب قديم . بعد أن تآكلت الصامولة التى تربطها . ووقعت أسنان شبابيكى ثم وقعت الشبابيك نفسها . وأخرجوا مصارين الكراسى ثم الكراسى نفسها واستمرت الإهانات وذبحتنى سوقية الناس وبؤسهم حتى تحطمت معنويا وجسديا . عندئذ قررت الانتحار ونظرت حولى فرأيت أسلاكى وشراييني معلقة تتراقص فواتتنى الفكرة وألقيت عليها نظرة صامتة موجعة وطويلة وقطعت شراييني فاشتعلت النار داخلى فجأة .. وجرى الركاب مذعورين سالمين ودلفت بسلام نحو الموت من بوابة النيران المطهرة .

انتحـار حصـان مصـرى !

[قفز حصان فى النيل هربا من التعذيب ، كان الحصان من خيل السباق وباعه صاحبه إلى أحد التجار ، قام التاجر بتأجير الحصان للعمل فى عربة كارو ، عامله العربجى أسوأ معاملة مما اضطر الحصان إلى القفز فى النيل . مات الحصان وقدمت جمعية الرفق بالحيوان شكوى إلى قسم الموسكى لمحاسبة العربجى ومحاكمته ، وقد هرب العربجى] . هذا هو الخبر الذى انفردت به جريدة الأخبار المصرية ، وإليكم نص الرسالة التى تركها الحصان فى مكان انتحاره ، وقد عثرت عليها فور انتقالى لمكان الحادث ، يقول نص الرسالة «أنا الحصان المصرى سعيد ، كان هذا اسمى حين ولدت وقد ولدت على ضفاف النيل السعيد ، ولست أعرف سر إشتقاق اسمى من السعادة كما لا أعرف سببا لإطلاقها على النيل كل ما أعرفه أننى سأنتحر ، بعد دقائق سوف أقفز فى النيل السعيد مضيفا سعادتى إليه أو دافنا تعاستى فى تعاسته . لست يائسا ولا استشعر الجنون إنما متمالك لقواى الحصانية كل التمالك ، ولكننى أيضا حصان حزين يطيل البكاء فلا يفهمه أحد ولا يواسيه سبت ولا أحد ، وما أقسى أن تكون حصانا وتعيش وسط عدد من الحمير أكبر من قدرة الدنيا على التحمل ، من البديهات أن تكون نسبة الخلائق فى الدنيا متعادلة ، فلا يزيد عدد الحمير عن الأحصنة ، ولا يزيد عدد البغال عن عدد الناس ، وبغير هذا التعادل الدقيق ينفرد العقد ويبوظ الشغل وتذوب الفوارق وتشتد التعاسة بالمخلوق حتى لو كان مثلى حصانا .

إننى أصهل مستدعيا أرواح أجدادى من الخيل التى اشتغلت مع قدماء المصريين . وفى صهيلى اليائس شهادة على العصر وشهادة إلى الله رب العصور ، وبعد قليل أنتحر بإلقاء نفسى فى النيل ، وسأترك رسالتى لعل أحدا من الحمير يعثر عليها فيفهم لماذا فعلت ما فعلت ، وأحب من البداية أن أؤكد أننى لا أنتحر لأننى يائس أو ظالم . إنما أفعل ذلك لأضع حدًّا لآلامى المستحيلة الفاجعة ، ويشهد الله أن طاقتى على الصبر كانت تستصرخ الصبر أو جزءا من رحمة الصبر فلم يلتفت إليها أحد ..

وإذن فقد تحدد الموقف ..

كنت فى شبابى حصاناً ونجما من نجوم السباق ، تظهر صورتى فى الصحف ، وتحتل أخبارى أنهار المجلات ، ويتألف طعامى من السكر والفزدق واللوز والجوز ، وأعترف أن هذه الأشياء كانت متوفرة وكثيرة ، ويؤسفنى أننى أذكر نوع طعامى الثمين رغم علمى أن غلو سعر الطعام لا يضيف فضلا إلى خسة الآكلين ، كما لا ينتقص من فضل الفضلاء أنهم يأكلون أردأ الطعام .. إنما أذكر نوع طعامى لترتسم فى أذهان الحمير صورة عن الخيل ، لقد كنت آكل الشيكولاته بالبندق وأعرف أنها شيكولاته ، أما الحمار فضع أمامه قطعة من الشيكولاته وخيارة ذابلة . لن يميز بين الأفضل والأسوأ ، وسيترك الأعلى إلى الأدنى مستجيبا لقانون أساسى من قوانين الحمير ، وهذا ما لم أعد أحتمله .. لم أنتحر بسبب قلة الطعام أو رداءته .. أبدا .. لست شرها ولم أعرف عن نفسى الشراهة . بالعكس . لقد عشت رافع الرأس والذيل وإن كنت لم أعد أحتمل .. نسيت أن أحدثكم عن أهم شىء ..

لمن أحكى أحزانى ؟

حين كنت حصانا يجرى فى السباق ، كان الموضوع الرئيسى فى حياتى هو الجرى ، لا الطعام ولا الشراب ولا الراحة ، كنت من هواة العدو السريع . وكان دمى يغلى إذا سبقنى حصان ولو بمقدار رقبة حصان ، وأحيطت موهبتى بالرعاية ، وكانوا يعلموننى ويكافئوننى لأجرى ، وكسبت لأصحابى ذيوع الشهرة والمال ، ثم ذهب الشباب إشارة إلى وجود الزمن ، وتدليلا على جلال خالق الزمن ، وباعنى أصحابى عظاما بعد أن أكلونى لحما ، ورضيت بقسمتى الجديدة وقلت إننى أديت دورى فماذا لو تركت المسرح لمن حوافره أدق وأصغر .. كان صاحبى الجديد عربجيا طالما تعامل مع الحمير حتى صارت ضحكته أعلى من نهيق الحمار ، وبدأ العربجى يحملنى ما لا طاقة لى به ، وبدأت أحمل حديد تسليح وأسمنت لبناء عمارات ظالمة فيها خلوات ومقدم وشروط وبهدلة ، وحزنت على ظلم الإنسان المالك لأخيه الإنسان المستأجر . وقلت لنفسى إننى حصان وليس من حقى أن أنتقد طبقة الإنسان لأنها درجة أعلى فى سلم الخليقة .

وكنت أسير فى شوارع القاهرة فيضيق صدرى من زحام الطريق وفوضى المرور واستهتار السائقين وضياع هيبة الشرطى ، وكنت أمشى فى حوارى نام فيها الجوع واسترخى الأطفال ونشط الذباب ، ولم يكن طعامى كافيا أو ملائما لكل هذا الشقاء ، وصهلت أشكو ثم دفنت رأسى فى جردل المياه وقلت

أغرق عطشى إلى الرحمة فى مياه عكرة يقول مسئول مرفق المياه إنها ليست عكرة .

وفى يوم من ذوات الأيام الأربعة ، وكان يوم أربع ، كنت أشرب حين سقطت فى الجردل دمعتان كبيرتان ، وأدهشنى أننى أبكى دون أن أعرف ، وصعبت نفسى على نفسى كثيرا ، وعرفت أن بكاء المخلوق على نفسه أمر لا يحتمل ، وزاد الشقاء مع صدور قانون الإيجارات الجديد ، فقد انطلقت حركة البناء وزاد حملى من الأسمنت والحديد والطوب ، وزادت كمية سبّ الدين الصادرة لى كلما تحركت أو تململت وهم ينزلون حملى ، وحين تذكرت شبابى يوما وجريت أعدو ضربنى العربجى ضربا مبرحا على وجهى فلم أفهم كيف كنت أكافأ لأجرى وكيف أضرب اليوم لنفس السبب ، وهزل جسمى وضاع قوامى وبرزت عظامى واشتد نحولى وتحجرت الدموع عند الباب الجنوبى فى عينى وانزلقت إلى التأمل ، وسقطت اللطمات على وجهى إشارة إلى أننا أبناء عالم تجرؤ فيه القسوة والجبن على ضرب وداعة النيل الخرساء .. يوما بعد يوم أدركت أن قانون الحمير ينطبق على حياتى كل الانطباق ، قانون يفضل الأسوأ على الأفضل ، والأدنى على الأعلى ، وعندئذ أدركت أننى يجب أن أنسحب من هذه الحياة .. وقديما كتب تشيكوف أروع قصصه القصيرة وجعلها عن عربجى يحدث حصانه عن أحزانه لموت ولده الوحيد ، وها هى الدنيا تتغير ويموت تشيكوف فيقل حنان الكلمة المكتوبة لموته ، ويضرب العربجى حصانه ويهين وسيلته فى الرزق وأداته فى صنع حياته .. ولقد تعبت من تراكم الأحزان .. وها أنذا أنحدر هادئاً نحو تراب النهر المبلل ، لم تقرب حوافر الشتاء بعد ولكن الدنيا تمطر داخلى بعنف .

رحلة لحديقة الحيوان

إذا دخلت حديقة الحيوان ، فقل : يا ساتر .. فجميع الحيوانات وراء سواتر .. إذا كنت ترتدى ملابس مصرية ، وكنت رقيق الحال ، ويبدو عليك الصراع مع الحياة ، فلن تكتحل عينك بمرأى السبع مثلا أو النمر .. ستدخل بيت الأسود ، فإذا الأسود جميعا وراء سواتر .. وتسأل حارس الأسود : أمال فين السبع .. ويجيبك بخشونة : السبع تعبان يا سيد .. أعصابه مش كويسة .. نايم دلوقت ، ما نقدرش نصحيه .. فوت بكره يكون صحى وأعصابه هديت .. فإذا مددت يدك إلى جيبك ، وأخرجت شلنا ، فإن الحارس ينتظر حتى ينصرف الذين ليس معهم شلن ، ويبقى الذين معهم شلن .. ويزيح الحارس الستارة التى تحجب الأسد عن الجمهور ، ويقول له : تعالى يا عباس .. أو تعال يا دعبس .. وينظر الأسد إليه سائلا ، ونظرة عينيه تكاد تقول : الزبون فتح مخه ودفع .. ويومئ الحارس برأسه .. أى نعم .. وينهض السبع متكاسلا ويحضر إليك ويريك نفسه ويأخذ الشلن ..

لقد تعلم السبع هو الآخر أصول الصنعة ، وحقيقة الحياة .. لم يعد مغفلا ليتفرج عليه الناس بالقروش التى يدفعونها لدخول الحديقة ، القروش الأخرى تأخذها الحكومة ، والسبع حاله ليس على ما يرام ، وكيلو لحم الحمار بكام ؟ .. والأسد يأكل كل يوم ٤٠ كيلو من لحم الحمار ، والدنيا غلاء ، والحمار الذى كان يباع بجنيهين ، صار ثمنه ٦٠ جنيها ، والسبع معذور فيما

يفعله .. أما الزرافة .. فقد رفعت أسعارها هى الأخرى .. تذهب إلى الزرافة فلا تجدها ، وتظل غائبة حتى تفتح مخك ، وتمد يدك فى جيبك وتدفع عشرة قروش .. هذه أسعار سياحية ، أنظر أنت إلى طول الزرافة ، وقل لى هل تدفع لها أقل من عشرة قروش ، كنت تدفع قرشا أيام الحرب العالمية الأولى ، أما الآن فما هى قيمة العشرة قروش ؟ .. إذا خرجت القروش العشرة ، صرخ الحارس مناديا الزرافة : يا ثريا .. تعالى يا ثريا .. وتحضر ثريا ، وهى تجرى ، ترفع رأسها لأعلى ، وتسأل الحارس : استلمت النص ريال ، ويشير لها برأسه .. أى نعم .. وعندئذ .. وعندئذ فقط تستطيع أن تعطيها قطعة من الخيار أو الجزر أو الأتة ، وسوف تأكلها من يدك .. أبأس موظفى الحديقة من الحيوانات هو الفيل ، وسعره لم يزل كما هو «قرش صاغ واحد» ، وعليه زحام شديد ، يشبه زحام الجمعية التعاونية ، وهناك عيال ورجال وبنات وصبيان ، والفيل يقف كالتمثال ، حتى تلقى القرش فى الأرض ، ويمد زلومته ويأخذ القرش ويعطيه لحارسه ليدخره له كى يشترى غويشة من الذهب أو حلقا أو كردانا ..

وبسبب الزحام على الفيل ، لم يعد يحيى أحدا إلا إذا اكتمل معه ربع جنيه .. إنه يرفع زلومته ويحنى قدمه ويحيى جماهير المواطنين بعد أن يتسلم الربع جنيه ، وليس قبل ذلك ..

الفيــل أبــو زلومــه

الفيل من أعظم حيوانات الغابة .. إن حجمه العظيم وقوته الفائقة يضعانه على قمة ملوك الغابة .. فهو إذا صارع أعتى النمور كان كفؤا له . وربما انهزم النمر أو انهزم الفيل ، لكن صراعهما يكون بين ندين متكافئين ..

وحين يهاجم الفيل يفرد أذنيه كطبلتين هائلتين ويرفع زلومته ويندفع بوزنه الهائل الذى يصل عدة أطنان وينزل بأقدامه على فريسته فيهرسها هرسا . وأحيانا يلف الفيل زلومته حول شجرة ويقتلعها من مكانها ويضرب بها عدوه .. وتصور أنت حين تستخدم عصا لضرب عدوك .. إن الفيل يستخدم الشجرة كالعصا .. هذا الفيل العظيم الثائر المغوار فى الغابة .. يتحول إلى شىء آخر تماما إذا دخل حديقة الحيوان أو التحق بالسيرك .

فى حديقة الحيوان يتحول الفيل إلى شحاذ يمد زلومته ليأخذ قرشا من أحد الأطفال . وبعدها يحييه برفع زلومته .. وفى السيرك يفقد الفيل آخر ما بقى من كرامته . فهو يرقص ويغنى ويجرى ويرفع قدما ويخفض قدما ويمثل من أجل لقمة العيش .. ما الذى حدث للفيل .. ما الذى يغير من طباعه ويحوله من ملك للغابة إلى ممثل فى سيرك .. الحرية هى السبب .. فى الغابات يعرف الفيل أنه حر .. ومعرفته أنه حر هى التى تجعله ملكا من الملوك العظام ..

وفى حديقة الحيوان أو السيرك يفقد الفيل حريته ، وحين يفقدها يهون

عليه كل شيء . فيشحذ ويمثل ويغنى ويرقص . انتهى الأمر وفقد الفيل حريته وصار مثل شمشون حين قصت له دليلة شعره فضاعت قوته . بعدها تحول شمشون إلى ثور يدور فى الطاحون . ولم يعد هو الجبار العملاق المهيب .. غياب الحرية هو السر .. وقانون الحرية ينطبق على عالم الحيوان وينطبق على عالم الإنسان بنفس الدرجة .. والإنسان الحر هو وحده القوى .. والإنسان الذى يفقد حريته يمكن أن يفعل أى شيء .

ولقد فشلت كل المحاولات لتحويل الفيل الفلسطينى العظيم الحر . إلى فيل يشتغل موظفا فى السيرك . ويؤدى الدور المطلوب منه .. ولا أظن أن المحاولات ستنجح .

الحمار المتعب .. والقرد الذكي ..

الشارع الطويل يتنفس وتدب فيه الحياة فيعمل ، عرقه هو هذه الأتربة التي تتصاعد منه خلال سير المارة والسيارات والكارو والأطفال الذين يزفون القرداتى . فى منتصف الشارع عربة كارو ، يجرها حمار أبيض نحيل مسحوب الوجه مثل رسوم الجريكو ، العربة تحمل حديد تسليح لبناء إحدى العمارات ، والحمار مرهق يجر أقدامه بصبر ويبدو بحزنه النبيل المتواضع آية من آيات الله التى سخرها لابن آدم .. أما القرداتى فقد توقف أمام جمع من البيوت وضرب طبلة فى يده فأطل الناس من الشبابيك .. وحين اكتمل الجمهور وأخذ النظارة أماكنهم فى الشرفات والبناوير .. شد القرداتى سلسلة القرد فطار القرد فى الهواء وضرب شقلباظا فى الجو مثل أعظم أبطال الجمباز ونزل على قدميه واقفا ..

وزاط الناس من أداء القرد فهلل الأطفال وابتسم الكبار .. وضرب العربجى الحمار بيده على ظهره يستحثه على السير ولكن الحمار تلقى الضربة بغير أن يرمش له جفن .. رفع الحمار رأسه وتأمل القرد وهو يعجن عجين الفلاحة ويمثل دلال العروسة ، والتقطت فى نظرة الحمار لونا من ألوان الأسى الصامت المهيب ، وخيل إلىَّ أن دمعة كبيرة تتبدى فى عينه وتقاوم بآخر ما بقى من كبريائها أن تسيل على وجهه ، ثم لا تلبث المقاومة أن تفتر فتنحدر الدمعة على وجهه وتصل إلى أنفه ...

لم يكن هناك من يمسح دمعته .. بل لعل عمق المأساة أن أحدا لم يلاحظ هذه الدمعة ، واعتصر قلبى وجع مفاجئ .. من القسوة أن يبكى مخلوق من مخلوقات الله دون أن يحس به أحد أو يلتفت إليه أحد .

لم يزل القرد يقفز ويتشقلب ويسير ويمد يده إلى الأطفال والكبار ليأخذ ما جادت به النفوس من قروش طائرة .

ويعاود الحمار سيره وهو يجر أقدامه ويشد حديد التسليح ، والحديد ثقيل لأنه حديد ، وثقيل لأنه اشترى من السوق السوداء ، وثقيل لأن صاحب العمارة ينوى أن يظلم السكان ، وثقيل لأن الحمار سيئ التغذية ضعيف البنية خائر القوى ..

ويجيء مطلع فى الشارع ، ويرقص القرد الآن على نغمة الطبلة ويتحرك حركات موزونة بأقل جهد ممكن ، فالقرد ذكى ، أما الحمار فيجمع قوته كلها ويحاول صعود المطلع ولكن قدمه تتشنكل فى مطب فينكفئ على وجهه . لم يكد الحمار يسقط على الأرض حتى أسرعوا نحوه .. وضع الحمار رأسه على الأرض ، وتنهد وأغمض عينيه وأغفى .. وصرخ العربجى : إن الحمار يعود إلى النوم ، وارتفعت يده بالعصا .

الحمار.. الزاجل

قبل أن يخترع جراهام بل الآلة المدهشة التى تسمى التليفون ، كيف كان الناس يتصلون ببعضهم البعض .. وماذا كانوا يقولون بدلا من كلمة «آلو .. آلو» .. شغلتنى هذه المشكلة بعد أن أصاب التليفونات إغماء طويل وأقسم أننى لم أدخر وسعا فى علاجه من الإغماء ، فقد رششت عليه الكلونيا ، ورحت أربت على خده الأسود البارد ، وأهزه وأقول له انهض لكنه ظل مكفنا فى صمته الأسود ، وأدركت أنه مات والموت قدر على رقاب العباد والتليفونات ولا شىء يوجد من بعد عدم إلا وهو صائر إلى الموت يوما ما .. وهكذا أدركت أن التليفون مات ، ونشرت له سطرين نعيا فى جريدة الأهرام وأعلنت عن موعد السرادق .

وجاء أصحاب التليفونات التى ماتت وكنت قد عزيتهم من قبل فى تليفوناتهم الأليمة ، جاءوا جميعا يقولون لى : البقية فى تليفونك ..وازدحم السرادق بالناس ، واختنقت الأنفاس .. وجئنا بواحد من مصلحة التليفونات ليقرأ علينا التصريحات التى سبق أن أدلى بها مسئول فى المصلحة عن انقضاء عمر التليفونات ومجىء قدر الكابلات والأسلاك المدفونة فى بطن الأرض .. وانتهى السرادق الفخم ، وانصرفت أفكر .... ماذا كان الناس يفعلون قبل اختراع التليفونات ؟..

هل كانوا يعيشون أم ماتوا لأنه ليست هناك تليفونات .. كانوا يعيشون ..

كيف كانوا يتصلون ببعضهم البعض .. كانوا يتصلون عن طريق الحمار .. للمسافات القصيرة أو عن طريق الحمام الزاجل للمسافات الطويلة .. انقدحت شرارة الفكرة فى رأسى فجأة .. أدركت أننى أمام اكتشاف هائل ، وإليكم ما فكرت فيه ..

كل عمارة تبدأ عمل جمعية ، وتجمع ١٢٠ جنيها وتشترى بهذا المبلغ حماراً من الحمير الحصاوى ، وتوظف ابن البواب الصغير قائداً للحمار ، ويقف الحمار تحت العمارة فى انتظار أى إشارة ، ونقوم بعمل عمود للحمار بدلاً من الساتر الذى كان أيام الغارات ونضع له عريشا صغيراً ليبيت فيه أثناء الليل . لنفرض أنك تريد أن تبلغ رسالة معينة عن طريق التليفون ، كل ماعليك أن تكتب ما تريد وتكتب العنوان .. وتعطيها لقائد الحمار ، وما عليه إلا أن يقول حا .. شى .. ويبدأ فى المسيرة ، ويصل إلى من تريد تبليغه الرسالة ، ويقوم باستلام الرد ويعود به إليك .. إن الوقت الذى يستغرقه فى الذهاب والإياب ، لن يزيد بأى حال من الأحوال عن الوقت الذى كان يستغرقه التليفون حتى يرد .. عندما كان حيا ، ما رأيكم فى هذا الاكتشاف ؟

الحمـار أكل الكومودينـو !

منذ سنوات بعيدة .. كان الخشب المستخدم فى صناعة الأثاث فى مصر من أرقى أنواع الخشب . كان الماهوجنى والزان والجوز والأرو والورد من الأنواع الشائعة . وكان العامل المصرى يتتلمذ على أيدى الصانع الإيطالى والفرنسى فلا تمضى سنوات حتى يشرب الصنعة ويصير أستاذاً فيها ..

ثم حمل الوقت تغييرات هامة على صناعة الأثاث وتجهيز الخشب ..

نشأ مانعرفه باسم الخشب الحبيبى .. وهو نوع من أنوع الخشب يدخل فيه التبن وتدخل فيه مصاصة القصب وتدخل فيه مواد أخرى ثم يضغط هذا كله ويغلف بالأبلكاش ويستخدم فى صناعة الموبيليا ..

المنظر : عربة كارو تحمل أثاثًا متواضعاً صنع من الخشب الحبيبى عدد الأثاث : سرير ودولاب وكومودينو .. حالة الأثاث : انسكب الماء على الكومودينو أكثر من مرة ، الأمر الذى أدى إلى حالة نفشان فى الخشب الحبيبى وتصاعدت الرائحة العطرة ..

الحمار يسير .. حركة المرور بطيئة ومملة .. وهو جائع قليلاً والعمل كثير بعض الشىء .. وسط رائحة الطعمية والزيت والتراب وعادم السيارات والكفتة تسلل خيط عطرى فيه رائحة تبن ومصاصة قصب .. تصور الحمار أنه يحلم ، ورفع رأسه وتشمم الهواء بعمق ، ثم قلب شفتيه إلى أعلى وصفق

بأسانه .. قرر الحمار أن ينهق .. فقال بتنهيقته إنه جائع .. ضربه العربجى ضربة خفيفة فتوقف عن التنهيق وأسلم أمره للمقادير .. أوقفه صاحبه فى موقف صغير ريثما يشرب قرعتين من البوظه .. سقى الحمار قرعة منهما وذهب العربجى لشأن من شئونه .. عاد الحمار ستنشق رائحة عطر التبن والخشب الحبيبى .. قال الحمار لنفسه ـ ياترى ده حلم و لا علم ؟

رفع رأسه فلم ير حوله شيئا ، ثم أدار رأسه بغتة فوجد الكومودينو يتلألأ فى أشعة الشمس وقد غرق فى هالة من الإغراء ، ثنى الحمار رأسه و قبض على الكومودينو وشده وبدأ يأكله .. كان يقرقش الخشب الحبيبى مثلما يقرقش أحد الأطفال قطعة من الشكولاته .. ظل الحمار يأكل الكومودينو حتى أتى على أكثر من نصفه ، ثم دفعته العصا إلى الأمام حين حضر صاحبه فسار .. تاركًا الكومودينو وسط التراب ، نادمًا فى قرارة نفسه على ظلم الإنسان لأخيه الحمار ، متمنيا أن يجىء وقت يترك فيه الإنسان أخاه الحمار يكمل غذاءه ..

المنظر الأخير : لحظة استلام العفش .. صاحب العفش يتهم العربجى بأنه سرق الكومودينو والعربجى يلطم على وجهه ويصرخ إنه ليس لصا .. والحمار واقف ينظر إلى الاثنين وفى رأسه دوار لذيذ من البوظة ، وداخله إحساس بنصف الرضا ، فهو لم يأكل غير نصف الكومودينو .

الحمــير تأكلنــا .. فانتبهــوا

عدد الحمير والخيل والبغال فى مصر يقترب من ٢ مليون . وإلى عصر قريب جدا كانت البغال تشتغل فى الحكومة فى إدارة البلدية . وكانت هناك ملفات لهذه البغال تحدد مدة خدمتها وأسلوب علفها وطريقة ترقيتها ونظام إحالتها إلى المعاش ..

ما علينا .. حدثنى أحد لاقتصاديين أن الحمير تأكل طعامنا . فهمها لى كالتالى :

قال : إن كيلو الأرز يباع للآدميين بسعر ٥ قروش . وكيلو التبن الذى يباع كطعام للحمير ثمنه ١٠ قروش . أيهما أوفر للعربجى أو الفلاح ؟ أن يشترى حماره كيلو تبن ليفطر به . أم يشترى له كيلو أرز ويفطر هو مع الحمار برغيف وقطعة من الجبن القريش وكوب من الشاى ؟ لو تركنا مسألة الحمير قليلاً وتساءلنا عن عدد البقر والجاموس والماعز والخراف فسوف نكتشف أن العدد ٥ ملايين . والمعروف أن مساحة الأفدنة الزراعية فى مصر ٦ ملايين فدان . يعيش عليها ٤٠ مليون بنى آدم و٧ ملايين بهيم . أى أن عددنا الكلى ٤٧ مليونا .. والمعروف أن البهائم تأكل أكثر من الآدميين . إن الحمار مثلاً يأكل كما يأكل ستة من الآدميين . وبطن الجاموسة مثل الثلاجة ٧ أقدام . وما تأكله أسرة من ٥ أفراد فى يومين تأكل الجاموسة ضعفه فى وجبة واحدة .. فبالهناء والشفاء ونحن لا نستخدم الآن سلاح القر . وإنما نريد أن

ننبه لمشكلة اقتصادية خطيرة .. مشكلة أن ٧ ملايين بهيمة فى مصر تأكل ما يقرب من نصف محصول الأرض الزراعية أو يزيد وليس هناك اعتراض على أكل الجاموس أو البقر أو الخراف ، لأن هذه حيوانات منتجة تعطينا لحمها مقابل ما تأكله ، وتضحى بنفسها من أجل البشر . الاعتراض على حيونات الجر أو الحمل كالحمير والخيل والبغال .. إنها لاتعطينا عائداً من اللحم وتأكل ثلث محصول الأرض ، فلماذا لانتخلص منها ونستخدم السيارات . نحن نستورد القمح والسمك والأرز ، أى أننا نستورد الطعام فى نفس الوقت الذى تأكل فيه الحمير ثلث أكلنا أو أقل ..

إن ثمن السيارات التى يمكن أن تؤدى عمل الحمير أوفر آلاف المرات من أكل الحمير فى سنة ، وهناك أكثر من ضرر للحمير والبغال والخيل ، أهمها عدم النظافة الذى تسببه الحمير لعدم تمييزها بين الشارع والحقل ودورة المياه :. وهناك مشكلة تعويقها للمرور وبطء حركته ، لماذا لا نتخلص من الحمير والخيل والبغال وكل حيونات الجر؟.. من الناحية الاقتصادية لو ألقيناها فى البحر فسوف نستفيد ، ولكننا إنسانيون ومع الرفق بالحيوان ، نحن نقترح إهداء هذه الحمير والبغال لدول العالم المختلفة ، كتذكار للمحبة وذكرى للتعاون الزراعى ، وسوف تشتغل هذه الحمير فى السيرك والريف ويمكن أن تستغل لركوب الأطفال والترفيه عنهم . ويمكن بيعها إذا أمكن ، ويمكن إهداؤها إذا رفضوا شراءها .. المهم أن نتخلص منها ونستخدم السيارات فى النقل والحمل فنوفر الوقت ونوفر ثلث محصول الأرض .. وبهذا الحل نستفيد نحن ، وتستفيد الحمير فسوف تعيش فى ظروف أحسن ، وسنعيش نحن فى ظروف أحسن ..

نرجو أن نعرف رأى الحمير ! .

نقيب الحمير يرد

السيد الأستاذ رئيس تحرير الأهرام ..

بعد تقديم وافر التحية والاحترام ..

نشر السيد أحمد بهجت بالأمس فى «صندوق الدنيا» كلمة ليته لم ينشرها فقد آذت الكلمة مشاعر الحمير وملأت آذانها الطويلة بالخوف كما ملأت عيونها بالدموع . وقد اجتمع مجلس الحمير صباح اليوم اجتماعا غير عادى . وقرأنا الكلمة التى قوطعت بنهيق شديد أكثر من مرة .. وقد اتفق رأى الحمير على كتابة رد فورى . وقد تولى كتابة الرد نقيب الحمير بنفسه . ونحن نرجو أن تنشر الكلمة فى نفس المكان عملا بحرية الرأى ..

يقول السيد المحرر إن الحمير تأكل أكل الآدميين . ويقترح سيادته إلقاءنا فى البحر أو توزيعنا على دول العالم وشراء السيارات بدلا منا ..

وبغض النظر عما فى اقتراحه من جوانب غير إنسانية . فإننا نود أن نلفت نظر السادة البشر . إلى أن الحمير كانت ولا زالت من أعظم أسباب نهضة هذا البلد الذى نشرف بالانتماء إليه . لقد حملنا أثقال البشر وجررنا متاعهم واحتملنا رذالتهم وتعرضنا لشتائمهم ونزلت على ظهورنا ضرباتهم واحتملنا كل شيء . لم نتذمر ولم نتقاعس ولم نهمل ولم يفكر أحدنا فى الهجرة كل ما فعلناه أننا نهقنا بعزم مافينا . كنا ننهق بأكثر من أسلوب موسيقى . ونجأر إلى الله

بالشكوى من ظلم الإنسان لزملائه فى الخليقة والتى امتزج عرقها بعرق المصريين .

لقد دخلت الحمير حياة الشعب المصرى منذ آلاف السنين . وساهمت فى بناء الحضارات الأولى التى بدأت بالزراعة . وأعطينا جهدنا لهذا الشعب دون أى شروط سابقة . وتتابعت أجيالنا تخدم جيلاً بعد جيل . كنا عطاء يعطى متصور أنه يأخذ . ويخدم دون أن يسأل عن الثمن . من الذى يشتغل بأكله اليوم غير الحمير ؟.. لقد جاء علينا وقت كان الحمار منا يملك بردعتين للشتاء وبردعتين للصيف . ثم تعرى ظهرنا فلم نطالب بشىء وتسلخ ظهرنا فلم نتوقف عن العمل ثم يجىء كاتب مثل السيد أحمد بهجت فيتحدث عن أكلنا حديثه الجارح الذى يفتقر إلى الذوق . وبدلا من أن يقول لنا بالهناء والشفاء يقول إننا نأكل أكله .. لقد كنا نعتبره واحد من بيننا . وكنا نقرأ له ونستلطف ما يكتبه عن الحيوان أحياناً . وكنا نقول إن لنا ممثلا فى دنيا البشر يتحدث باسمنا ويذكر متاعبنا . وكنا نتصور أنه يقدر عملنا ويمكن أن يطالب لنا ببردعة للصيف وبردعة للشتاء . ولم نكن نظن أبدا أن قسوة البشر يمكن أن تصل إلى الحد الذى تتهم فيه الحمير أنها تأكل أكلهم ..

السيد الأستاذ رئيس تحرير الأهرام .. ابتداء من الغد . لن تقرأ الحمير جريدة الأهرام ولن ننشر فيها أى إعلان .

إمضاء «نقيب الحمير» [طبق الأصل] .

الإجابة النموذجية للإنشاء !

«سافر إلى إحدى الدول العربية الشقيقة . واشتغل بجد واخلاص . وعاد بثروة أصلحت حاله . أكتب قصة هذا الرجل» . هذا هو امتحان الإنشاء لذى جاء فى الإبتدائية . وإليكم الإجابة النموذجية «كان سيد أفندى يشتغل معاونا فى مدرسة إسطنهه الإعدادية الأهلية الحرة . وكان مرتبه ٢٣ جنيها . وكان يسكن فوق السطوح فى حجرة إيجارها ستة جنيهات . ويركب ٣ مواصلات إلى عمله فى قرية إسطنهه . أولها حلزونة الأرياف . بعد ذلك تاكسى بالنفر . يلى ذلك حمار صغير ليوصله إلى المدرسة . فقد كانت المدرسة تقع على تل من التراب يوصل إليه طريق ضيق لا يستطيع السير فيه إلا الحمار .. وكان يبقى معه بعد السكن والمواصلات ١١ جنيها للأكل والشرب والملابس والمرض والطوارئ . وكان حاله تعيسا للغاية . فقد خطب فتاه تشتغل فى مكتب بريد . واتفقا على الزواج ثم وقع خلاف بينه وبين أهل خطيبته . على سعر حجرة النوم ونوع الخشب وتنجيد اللحاف . وانتهى الخلاف فى قسم البوليس حيث تم فسخ العقد أمام حضرة الصول وكتب كل واحد فيهما تعهدا على الآخر بعدم التعرض له أو التكلم فى موضوع الزواج . وحرر المحضر تحت رقم ١١٤٥٩٦ ج . م بعد هذه النهاية الحزينة راوده حلم الخروج من مصر . وعندئذ فكر فى السفر إلى إحدى الدول العربية الشقيقة ليعود بثروة لإصلاح حاله .

وسافر وهو يحمل شنطة وزنها ٣ كيلو . ومكث هناك يعمل بجد

واخلاص حتى صار وزن الشنطة خمسين كيلو . وعاد إلى مصر حيث أفرغ الشنطة وعاد بها إلى الدولة العربية الشقيقة وهى فارغة . وظل يذهب ويجىء ويروح ويعود حتى استهلك ٥ باسبورتات في سنة . وذابت في يديه ٤٥ شنطة .

أخيرا صار صاحب ثروة لا تقل عن مبلغ محترم لن نكتبه فى موضوع الإنشاء لأن عيون الناس تفلق الحجر ولا داعى للقر والدنيا مليئة بالشر .

بعد أن صار سيد أفندى غنيا . بعد أن عاد بثروة أصلحت حاله . بدأ يشترى كل ما كانت نفسه تهفو إليه . وهكذا اشترى نظارة بيرسول وشنطة صامصونيت و ٣ قمصان نيلون وخلاطا وزنوبة وساعة سيكو وبدلة من القماش الانجليزى واشترى ريكوردر و ٢ كيلو حبهان ومستكة وثلاجة و ٢ كيلو فلفل كما اشترى عصارة لعصر الليمون على البامية . ولم ينس شراء كسرونة تيفال ودستة أطباق ميلامين و ٣ متر ديولين وبسكلته ليلعب بها وسيارة مرشيدس ليذهب بها إلى عمته فى بنها . واشترى شقة تمليك وفرشها وكان يفتح البلكونة ويطل على بحيرة المجارى التى تقع فى الشارع ويحمد الله لأن معه نقودا ويستطيع شراء كلونيا ورشها على بحيرة المجارى إذا لزم الأمر . وذات يوم ذهب سيد أفندى ليزور عمته فى بنها فركب السيارة المرشيدس . وكانت خطيبته معلقة من ذراعها فى الأوتوبيس وهى تقف بنصف رجل على السلم . فسألته هل سرقت السيارة المرسيدس يا سيد فقال .. لا .. بل سافرت إلى إحدى الدول العربية الشقيقة وأحضرتها من هناك .. وهذا جزاء الجد فى القول والإخلاص فى العمل .

إقـرار الذمـة الماليـة

حين جاءنى إقرار الذمة المالية تصفحته وخجلت . ماذا أكتب فيه . لا شىء أمام الأطيان . لا شىء أمام العقارات ، لا شىء أمام المجوهرات . لا شىء أمام الرصيد فى البنك . لا شىء أمام الأوراق المالية . لا شىء أمام الأسهم والسندات ، لا شىء أمام أى شىء .. هو شىء مخجل أن يكون الإنسان عديم الذمة المالية ، فى نفس الوقت الذى تكون عنده ذمة ، وهو شىء مدهش أن كثيرا من أصحاب الذمة المالية تنقصهم الذمة بشكل عام .

بدأ الموضوع يحيرنى ، ويبدو ـ والله تعالى أعلم ـ أن هناك ذمتين للإنسان
(١) ذمة مالية .. هى ما يملكه الإنسان من حطام الدنيا .
(٢) ذمة عامة .. هى التى يقصدها السؤال القائل : بذمتك ده حصل ..
ولكى يكسب الإنسان إحدى الذمتين لابد أن يخسر الأخرى ، لا يمكن للإنسان أن يخدم سيدين فى وقت واحد .

رحت أكتب لا شىء لا شىء أمام كل شىء وفوجئت فى آخر الإقرار بسطر يستفسر عن أى معلومات يجب أن يضيفها كاتب الإقرار ، وقلت أكتب شيئا أدارى به كسوفى أمام المحقق .. وكتبت العبارة التالية .

يقول الصوفية فى أدعيتهم : اللهم أخرج الدنيا من قلوبنا واجعلها فى

أيدينا وقد شاءت حكمته علينا أن يخرج الله تعالى الدنيا من قلوبنا وأيدينا معا ..

وضعت توقيعي على الإقرار ورحت أفكر فى الملكية ، أن يكون الإنسان مالكا لطين أو طوب أو شجر أو دولاب أو تاكسات أو نقل أو سمسرة أو مستورد أو بوتيك أو ما هو أعجب من ذلك أو أقل .. أن يكون الإنسان مالكا لشيء ما .. ماذا يكون شعوره . ؟ هل يحس بالألاطة ؟ ؟ هل يصير عظيما ؟ هل تكون له أنفان وثلاثة عيون ؟ هل يكون عنده قلب يعمل وقلب احتياطي ، أربع رئات مثلا وكبدين ؟ ما هو الفرق بين المالك وغير المالك . وبين صاحب الثروة وصاحب الستر ؟ يقولون إن الثروة تجعلك تطمئن على الغد ، وتعطيك احتراما بين الناس ، وهذا هراء ، لأن الاحترام المعلق على سبب يزول بزوال السبب ، ولا يمكن الاطمئنان على الغد لأننا نملك ثروة أرضية ، لأن خزائن الأرض يصيبها السوس ، سواء كان هذا السوس تأميما أو سرقة أو هبوطا حادا فى السوق أو وريثا متلافا أو ما شاء الله من أسباب .. لست أعرف ما هو إحساس المالك بصراحة ، لأننى طوال حياتى لم أملك شيئا ، ولست حرا لأننى لا أملك شيئا ، ... الحرية ألا تملك شيئا ، ولا يملكك شيء ..

هذه هى الحرية الحقيقية ، وهى حرية لا تتوفر إلا للقلائل .

التجربة .. والفأر

من التجارب التى يجربها العلماء على الفئران هذه التجربة .. يحضرون صندوقا كبيرا فيه طرق وممرات يمكن التحكم فى إغلاقها وفتحها . ويضع العلماء بعض الأطعمة والأشربة كالجبن والماء فى نهاية الممرات . ويطلقون فأرا فى الصندوق . ويتوقف الفأر قليلا ثم تشد حواسه رائحة الطعام فيجرى نحوه . حتى إذا اقترب منه وكاد يناله أسقطوا أمامه جدارا وأحبطوه . ويقف الفأر حائرا لمدة ثوان ثم يعود لشم رائحة الطعام فيستدير ويجرى فى ممر آخر حتى إذا اقترب من الطعام أسقطوا أمامه جدارا ثانيا . وتستمر التجربة . وفى كل مرة يقترب فيها الفأر من هدفه يفاجأ بعائق ينسف مجهوده ويعيده إلى النقطة التى منها بدأ ..

بعد فترة كافية من التجارب يخرجون الفأر ويكشفون عليه طبيا ويحللون دمه ويشرحونه . وقد كشفت هذه التجارب أن الفئران المحبطة تصاب بقرحة فى المعدة . وأحيانا يختل توازنها النفسى (الفئرانى) وتصاب بالجنون .. وقد فهم العلماء من هذه التجارب أن الإحباط يؤدى إلى قرحة المعدة كما يؤدى إلى الجنون ..

أقود سيارتى فى شوارع القاهرة .. بين عملى ومحل إقامتى عشرة كيلو مترات . سيارتى بيضاء تميل إلى اللون الرمادى كالفأر ، وهى سريعة وصغيرة ودمها خفيف كالفأر . أجلس داخلها وأتخلى عن مهنة الكتابة

وأشتغل سائقا لأوصل هذا الكاتب إلى محل عمله . أخيرا أصل إلى قطعة الجبن الصفراء فى إشارة المرور . فجأة أكتشف أن هناك حفريات تمثل عائقا يحبط محاولتى . واستدير وأمضى فى ممر آخر . أجرى كالفأر حتى إذا اقتربت من الهدف سقط عائق آخر فأستدير وأجرى فى شارع جديد .

أخيرا أصل إلى عملى . أمعائى متقلصة تماما وعقلى شبه متبخر . حين أجلس إلى مكتبى أتذكر قصة الفئران المحبطة . والإحباط كلمة نفسية ليست جديدة على اللغة العربية . فقد استخدمها القرآن الكريم وهو يشير إلى جزاء الكافرين وكيف حبطت أعمالهم . ومعنى الكلمة هو ضياع الجهد رغم كل العناء المبذول فيه . وأحيانا أسأل نفسى : هل هناك من يجرى علينا تجارب لمعرفة أثر الإحباط ؟ والجواب أن هذا احتمال بعيد . والصحيح أن أسلوب حياتنا بكل ما فيه من تناقضات وتخلف يحولنا دون أن ندرى إلى مجموعة من الفئران التى تصطدم دائما بالعوائق وتحس دائما بالإحباط .. وأخطر سببين ينتج عنهما إحباط المصريين هو أسلوب حياتهم ونظام الإدارة الذى يتبعونه .. نحن نتبنى أسلوبا عجيبا للحياة . ونطبق نظاما خرافيا للإدارة . وليس ما حدث لنا من تقلصات بالأمر الغريب بعد ذلك .

علبة كبريت لميكل أنجلو

غير صحيح أن أوروبا هى بلد الابتكار والتفنن والتقدم .. إن فى مصر أنواعا من الابتكار التى لا تخطر على بال .. نضرب على ذلك مثالا بسيطا وهناك مئات الأمثلة . اشتريت علبة كبريت من باريس ، وكانت معى علبة كبريت من مصر ، وقمت بإفراغ محتويات العلبتين وعقدت بينهما مقارنة .. إن علبة الكبريت الفرنسية عادية ومملة ورتيبة ، كل عود فيها يشبه العود الآخر تماما ، ليس هناك اختلاف بين عود وآخر ، كل الأعواد سواء كأسنان المشط . أين الابتكار والتفنن ؟ . ليس هناك ابتكار ولا تفنن ؟

أما علبة الكبريت المصرية فشىء آخر تماما .. إن كل عود فيها له شخصية مستقلة . عود رأسه تخين ، وعود رأسه رفيع ، عود رأسه معووج جهة اليسار ، عود يسارى ، وعود رأسه يتجه نحو اليمين ، فهو عود يمينى ، وعود رأسه متوازن فى الوسط ، وجميع الأعواد داخل إطار الاتحاد الاشتراكى ، أقصد داخل العلبة .. ستجد عودا أطول من عود ، وعودا أقصر من عود ، ستجد عودا جسمه رفيع وآخر جسمه ممتلئ ، ستجد عودا برأسين وعودا طارت رأسه فى مقصلة الثورة الفرنسية ، باختصار ، ستكتشف أن عيدان الكبريت المصرية مثل الكائنات الحية لها وجودها وشخصيتها المستقلة وملامحها الخاصة ، ستسأل نفسك ، أيمكن أن تكون مكنة واحدة هى التى صنعت كل هذه العيدان ، أم أن هناك أكثر من نحات عظيم قام بنحت كل عود وراعى أن يكون مختلفا عن شقيقه

وزميله .. ستحار وتدركك الدهشة ، والفن هو الدهشة والاكتشاف والحيرة .. نريد أن نقول إن الإنسان المصرى ليس هو وحده الفنان ..

إن المكن المصرى المصنوع من الحديد ، أصبح يقلد الإنسان المصرى ، وصار فنانا هو الآخر .. وليس هناك أحد أحسن من أحد

مخالى غلط فى الحساب ! !

فى الأمثال العامية المصرية النابعة من مدينة الأسكندرية مثل يقول « معلش . مخالى غلط فى الحساب » ويساق هذا المثل حين يريد الإنسان أن يواسى نفسه ويخفف عنها ، وإليكم أصل قصة مخالى العجيبة ، وهى قصة حقيقية .

فى أوائل هذا القرن جاء والد مخالى من أثينا التى قال فيها الشاعر « فى أثينا ما فيش دراخمة .. بس شاطرين ياكلوا لخمة .. عسكرية بالآلاف » .. جاء خريستو واشتغل فى مصر فى السبرتو وتزوج من يونانية وأنجب منها مخالى ، بعد عشرين سنة كان يملك عشرين مليونا من الجنيهات وجلس يحسب حسبته التى ستصير مثلا فيما بعد . قال لنفسه : أنا لازم ييجى مبسوط كتير .. لازم يتمتع بالدنيا $\frac{1}{2}$ مليون جنيه كل سنة .. دى كويس كتير .. موس ممكن راخ يعيش أكثر من ٤٠ سنة كمان ..

هكذا حسبها مخالى ، نصف مليون جنيه كل عام ، لن يعيش أكثر من أربعين سنة .. واشترى مخالى يختا وحمل نقوده وراح يطوف أرجاء المعمورة ، عرف النساء والشمبانيا والكونياك وكل أنواع المتع الزائلة . كان يأكل الكافيار والتفاح ولحم الطيور والبقر ، كان مثل شهريار له كل ليلة امرأة ، ولم يكن مخالى شريرا كشهريار يذبح العذراء إذا جاء الصباح ،

إنما كان يتركها تذهب لشأنها فى هدوء ، ولم يكن مخالى ينفق بتهور أو

غباء أو حمق . كان اقتصاديا عتويلا ينفق نصف مليون جنيه كل سنة . لا يزيد عليها ولا ينقص ، ومرت السنوات فى عز عميم ونعيم مقيم ، ولم تضعف صحة مخالى على الحياة المليئة بالهلس والسهر ، على العكس ، جاءت صحته وصار شبابا أكثر ، ومرت ٤٠ سنة كاملة ، أنفق فيها مخالى كل ثروته . ولم يعد يملك درهما ولا دانقا . ولا جنيها ولا تغريفة ، ولا قرشا ولا مليما ، وعاد إلى الأسكندرية وكل ما يملك من حطام الدنيا بالطو فاخر يرتديه ، وسكن مخالى فى هذا البالطو الفاخر ، كان يجلس على المقهى طوال النهار صامتا ، لا يتسول ولا يشحذ ، كان متكبرا لا يقبل إلا صدقتين فقط .. «سندوتش فول وكوبا من الشاى» .. فإذا جاء الليل وأغلق المقهى أبوابه قام مخالى وتمشى قليلا واختار عمارة أو بدروما فى سلم عمارة وأسند ظهره إليه ونام جالساً فى البالطو الفاخر ، كان مخالى لا يشكو ولا يتذمر ولا يتحدث بكلمة واحدة عن الأربعين سنة التى امتلأت بالمتع ، وقد جاء مخالى إلى الأسكندرية سنة ١٩٥٨ ، ومكث خمس سنوات حتى مات ، وعاش هذه السنوات الخمس على صدقات الناس ، سندوتش فول وكوب من الشاى كل يوم ، أو سندوتشين أو كوبين حسبما يكون حال قلوب المتصدقين .. وفى الليلة التى سبقت موته أدلى بالتصريح التالى لصاحب المقهى .. قال مخالى : أنا مسكتو كلمتى .. أنا جيتو راجل .. بس غلطت فى الحساب .. وذهب مخالى مثلا .

تليفــونتى .. مـؤنث

التليفونات أمم وأجناس وشعوب وقبائل وعائلات وأسر وأخبار وأسرار .. وأحيانًا أسأل نفسى : لماذا لايتكلم تليفون من الروضة مع تليفون من مصر الجديدة ؟

حيرنى السؤال كثيراً ثم وفقنى الله تعالى لمعرفة السر وكشف لى مغاليق الحكاية . وعرفت أن فى التليفونات ماهو مذكر . وفيها ماهو مؤنث . بمعنى أن هناك تليفونا . وهناك تليفونة ، ومثلما تنقسم التليفونات إلى ذكر وأنثى ، تنقسم إلى تليفونات من عائلات محترمة وتليفونات من عائلات كادحة . وهناك تليفونات «صايعة» لانعرف لها عائلة . ومثلما تنقسم التليفونات إلى مذكر ومؤنث وتنتمى لعائلات . كذلك تختلف أجناسها ودماؤها وألوانها ، هناك تليفون أشقر وتليفون بمبة وتليفون أحمر .

نريد أن نقول إن الفوارق بين التليفونات شديدة .. وسر أزمة التليفونات هو عدم تذويب الفوارق بين التليفونات .. هذه هى المشكلة بشكل عام .. وكل ماعدا ذلك تطبيقات وتفريعات .. وإلا فقل لى .

لماذا تترك تليفونة من مصر الجديدة تليفونا من الروضة يرن دون أن ترد . إذا لم يكن إحساسها الطبقى بالاستعلاء هو السر ..

وهناك بالمقابل تليفون من الجيزة لايرد على تليفونة من الهرم . لأنه هجرها وارتبط بتليفونه ثانية من الزمالك . لأنها أغنى مثلاً .

والأحقاد بين التليفونات لاتنتهى . والسر هو الفوارق العائلية والحزازات الطبقية . ومصلحة التليفونات بريئة كل البراءة من أى تهمة من التهم .. وإلا فماذا تفعل فى مسائل شخصية بحتة .

وقد ظللت سنوات طويلة أعتقد أن تليفونى مذكر . وكنت أعامله على هذا الأساس ، ثم اتضح لى أنها تليفونة .. وأدركت أنها تخاصم مصر الجديدة وعابدين والزمالك .. تليفونتى تستثقل دم مصر الجديدة . وتتعالى على عابدين ، وتحقد على الزمالك .. ولهذا تترك كل من يتصل بها من هؤلاء يرن ..

وفى رأينا أن حل أزمة التليفونات يكمن فى تذويب الفوارق أساساً .. ويمكن تحقيق ذلك على مرحلتين .

المرحلة الأولى : ندعو إلى انتخاب نقيبة للتليفونات [لأن أكثر التليفونات مؤنث] وتراعى النقيبة مصالح التليفونات وتحاول تقريب وجهات النظر بين شبرا والزمالك .

المرحلة الثانية : ندعو إلى عقد مهرجان تليفونى عالمى تحضر إليه تليفونات الدول الأخرى التى تشتغل فى بلادها . لقضاء فترة من الراحة والاستجمام فى مصر ..

وعن طريق تبادل الخبرات والتأثر والتأثير والزواج بين التليفونات المصرية والأجناس الأخرى ، ينشأ لدينا جيل قوى من التليفونات ..

رثـــاء تلفـــون

بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال . وغرائب الأفعال . وبعد تاريخ يمتلئ بالبهجة والمسرة . والحزن والمعرة . والتردد على مستشفى المبرة .. توفى تلفونى فجأة . بعد أن رن وشهق . ثم حشرج وفهق . وكانت هذه وفاته الرابعة فى ثمانية أشهر . وقد جاء رحيله بغير قرار أو إنذار .

ويبدو أن التلفون زهق من الغبراء . فاختار الزفاف للسماء . فصعد العريس إلى رقدته مع النجوم . وتركنى فى سهوم ووجوم .

وقد بعث البواب إلى مستشفى المصلحة . فأفاد الباشمهندس أن الكابل الأرضى . إبن الكابل الهوائى قد أصابه قضاء الله . وبسبب ذلك إنتقل إلى النجوم العلوية عريس السماء المتوفى . وهو حفيد تلفون جراهام بل . وابن عم كل من تلفونات الحاجعلى والحاج أحسن والحاج ازدحمد . وخال كل من تلفون سعاد وسميرة . وابن شقيقة تلفون يسرية وهنية . وابن خالة تلفون الدكتورة فاطمة . وصهر ونسيب وقريب عائلات تلفونات مصلحة التلفونات .

وستشيع الجنازة من السماعة الأصلية فى ميدان دليل التلفونات . والعزاء قاصر على تشييع الجنازة . ولا عزاء لتلفونات الحكومة ولا عزاء للتلكسات .

سار فى جنازة التلفون حشد تلفونات سوداء وبيضاء وحمراء وخضراء قامت كلها بأداء الواجب . وقف الواعظ وقرأ أرقام جميع التلفونات التى

سكت حسها وهمد صوتها وسبقت تلفونى المرحوم .

ثم انتهى العزاء ولم ينصرف الحانوتى .. ولم يلبث أن أخرج من جيبه فاتورة للحساب قال فيها إن التلفون الفقيد قد تكلم بعد موته مكالمات زائدة فواجب على ورثة التلفون دفعها حتى يرقد العريس رقدته الأبدية راضى الجرس قرير السماعة هادئ الفيشة مستريح الضمير .

ثم انصرف الجمع . وتركونى جالسًا أتأمل حال الدنيا التلفونية .. قائلاً إن دوام الحال من المحال . وليس فى الإمكان أبدع مما كان .. والموت حق على ابن آدم وحق على التلفون . الحكاية كلها أن العشرة تصعب على المؤمن .

لن أنساك أبدًا يا تلفونى العجيب ولن أنسى جرسك الحبيب .. نم فى سلام بلا كلام .. نم قرير الأسلاك وسط الأفلاك .

أشهر ذبابة فى التليفزيون

أشهر بعوضة فى التاريخ القديم هى البعوضة التى تسللت لأذن النمرود وقضت عليه . وأشهر ذبابة فى التاريخ الحديث هى الذبابة التى ظهرت فى برنامج أوتوجراف أثناء تسجيل الحديث الجميل للفنان محمد عبد الوهاب . وهذه الذبابة رغم صغر حجمها قد خدعت كثيرا من المشاهدين المثقفين كما خدعت نقاد الصحافة . فقد تصوروا أنها تسللت إلى التليفزيون من أحد البيوت المجاورة . واختلف الناس فى شأنها وذهبت الآراء كل مذهب . والحقيقة أن هذه الذبابة ليست دخيلة ولا متسللة . إنما هى جزء من قوة العمل فى التليفزيون . شأنها شأن الأفراد والفنيين وآلات التصوير والفيديو والتيليسين ومكتبة الشرائط . والتليفزيون يربيها ويرعاها ويحافظ عليها قياما بواجبه فى المحافظة على ممتلكاته .

ولعلنا نذيع سرا إذا قلنا إن هذه الذبابة معينة على فئة ذبابة درجة «أ» . وقد تم تسكينها على هذه الفئة لعدم وجود درجات خالية وعدم وجود مصرف مالى فى الباب الأول . وهذه الذبابة مختصة بالظهور على شاشة القناة الأولى ، وهى غير الذبابة التى تظهر على شاشة القناة الثانية . ولم يحدث أبدا أن تسللت ذبابة القناة خمسة إلى القناة سبعة أو العكس . وهذا دليل على انضباط التليفزيون ودقة نظامه وحسن إدارته .

ويوظف التليفزيون هذه الذبابة لسبب هام .. هو محاولة تمييز التليفزيون

العربى عن غيره من تليفزيونات الدول الأخرى ... فى التليفزيون الأمريكى برامج وعندنا برامج .. وفى التليفزيون الفرنسى مقدمات للبرامج يرتدين الباروكات . وعندنا باروكات يرتدين مقدمات البرامج . وفى التليفزيون الإنجليزى مذيعون يسألون الضيوف . وفى التليفزيون المصرى مذيعون يجاوبون على الضيوف . وفى التليفزيون اليونانى بوفيه وجرسونات وفى التليفزيون المصرى بوفيه وجرسونات .. تساوت الروس إذن فكيف يتميز التليفزيون المصرى على غيره ..

لقد نافسناهم فى البرامج فنافسونا . ودخلنا معهم سباقا فى التمثيليات فسبقونا . وكاد حمارنا يغلب لولا أننا فكرنا ودبرنا . كنا نريد شيئا يكون عندنا ولا يكون عندهم . شيئا جديدا مبتكرا لا يصل تفكيرهم إليه .

من هنا جاءت فكرة توظيف الذبابة فى التليفزيون وإطلاقها على ضيوف البرنامج .. وبهذا امتاز التليفزيون العربى بأنه التليفزيون الوحيد ، الذى يشوح فيه الضيوف بأيديهم وهم يقولون : هش ..

وبهذا سبق التليفزيون المصرى غيره من تليفزيونات العالم ..
أظن أن الوقت قد حان لإجراء حديث مع هذه الذبابة الشهيرة ..

حـديث مـع ذبابـة التليفزيـون

حملت أوراق وقلمي وذهبت إلى التليفزيون لإجراء حديث مع الذبابة الشهيرة التي امتدحها الأستاذ محمد عبد الوهاب بقوله التاريخي ـ الدبانه دى عشرية قوى ! ـ قابلت الذبابة وكانت تجلس على كوب من الشاى الغامق . وتفرك أرجلها الخلفية وأيديها الأمامية ويبدو عليها الانشغال الشديد . واستأذنتها فى الحديث فاتضح أنها تهوى عشرة الفنانين والأدباء وتقدر دور الصحافة .. فقد وافقت على الحديث على الفور . وتركت عملها وانهمكت فى التهيؤ للتصوير والإجابة على الأسئلة .

سألتها : ما هو إحساسك بعد تحية الفنان الدكتور محمد عبد الوهاب ؟ قالت : إحساس أى مخلوق يؤدى واجبه على الوجه الأكمل .. إننى سعيدة . قلت : سيادتك تظهرين على شاشة التليفزيون أثناء الليل . علما بأن الذباب ينام بالليل . ولم نر فى حياتنا ذبابا يسهر أبدا .. ما هو السر ؟ قالت الذبابة ـ وهى تتنهد بأسى ـ إن ظروف عملى فى التليفزيون تضطرنى للسهر . إن الذباب العادى ينام أثناء الليل ويشتغل فى النهار ، أما أنا .. بوصفى ذبابة نجمة ، فإننى أسهر أثناء الليل ولا أنام بالنهار ، ووقتنا كله فى خدمة التليفزيون والفن كما لعلك لاحظت ولاحظ السادة المشاهدون .

قلت : ما هى هواياتك .

قالت : أنا أحب الظهور .. هذه هوايتى الوحيدة . سألتها عن الأغنية

التى تحب سماعها فقالت : أغنية أحمد عدوية «طفحت مجارى الهنا حوا مجارينا . بكابورت واحد مش عاوز يجارينا» قلت لها : ما هى مشكلتك قالت : التليفزيون جهاز فنى ولكننى أعامل فيه كموظفة . وهذا ظلم قلت : هل هناك شكوى تحبين توجيهها للسادة المسئولين . قالت : لماذ لا ينشر اسمى على لافتات البرامج أسوة بأسماء المقدم والضيوف والمصورين والمخرج والعاملين والمشاهدين . لماذا يبخلون بنشر اسمى رغم كل ما أفعله .

سألتها : هل سيادتك متفائلة أو متشائمة ؟ قالت : أنا متشائمة جدا . أخشى بعد نجاحى الساحق الذى نلته بكفاءة . أن تحاربنى المذيعات ويضطهدوننى .

نحن نهيب بالأستاذ رئيس التليفزيون أن يتدخل لحماية هذه الذبابة ويفرد لها برنامجا خاصا لتظهر مواهبها فيه . لقد صارت جزءا من معالم القاهرة وينبغى المحافظة عليها .

لنقطع الأشجار كما نشاء .. لكن دعونا نحافظ على الذباب .

الوصـايا العشـر للغـلاء

كيف تقاوم الغلاء بدون عناء ؟ كيف تقهر موجة ارتفاع الأسعار التى يطق منها الشرار . كيف تدفع ديونك وتكف عن القلق ؟ كيف تكسب التجار وتؤثر فى البائع ؟ كيف تكون سعيدا مبتهجا مسرورا بأبسط قدر من التعب ؟

إن جواب هذه الأسئلة كلها يكمن فى الوصايا العشر للغلاء .. إذا اتبعت هذه الوصايا أفلحت ونجوت وأمنت فنمت . إليك الوصايا فتأملها بعمق .

١ ـ اغسل يديك قبل الأكل وبعده .
٢ ـ لا تأكل اللحم مثل بوذا .
٣ ـ ازهد فى الفراخ مثل غاندى .
٤ ـ لا تفكر فى الحمام أو البط مثل فقراء السيدة .
٥ ـ احتقر الديوك الرومى مثل نساك الهنود .
٦ ـ ركز فى الفول ، إنه يلتهم الجوع كالغول .
٧ ـ تأمل جمال العدس ساعة الغروب اللازوردية .
٨ ـ لاحظ وداعة البصارة وعلى وجهها البقدونس .
٩ ـ ضع همك فى الباذنجان ، تأمن شر الجنان .
١٠ ـ لا تنس قدرة المش ..

هذه الوصايا تستند إلى الفلسفة التالية : قل لنفسك ماذا أخذ الذين أكلوا قبلنا أنواع الفراخ والبط والأوز ؟ ماذا كسب الذين أكلوا البتلو اللبانى

الصغير ؟ هل تعرف المعدة الفرق بين ورك الدجاجة ولقمة الفول المدمس ؟ هل تميز المعدة بين صدر البطة وقلب الباذنجانة . المعدة لا تعرف ولا تميز . العقل هو الذى يصدر تعليماته إلى المعدة بحب طعام وكراهية طعام . حاصر عقلك قبل أن يصدر رسائله إلى المعدة . قل له إن الزاهد أفضل من المفجوع . وإن الفول والعدس يلقيان نفس مصير الضانى والكندوز . ردد هذه العبارة وأنت تأكل الفول « هذا ديك رومى جاء يزورنى متخفيا فى عباءة الفول ذات اللون البنى الغامق » اطلق على الفول اسم تدليل جميل . لماذا لا تسميه فيفى مثلا . فكر فى اسم تدليل للبصارة .. ابتسم وأنت تأكل وتخيل أنك تأكل ما تحب أن تأكله . ألا تعرف أن كل الطعام هو فى الأصل طاقة قادمة من الشمس . اجلس فى الشمس وحاول الحصول على طاقة الفراخ والبط والأوز مباشرة من الشمس . تصور أن أشعة الشمس بط أثيرى وحمام وفراخ تتسلل من مسام جسدك مباشرة إلى المعدة . هل شبعت ؟ احبس بكوب من الشاى . الآن نستطيع أن نقول لك هنيئا ونعيما !

الغــلاء زمــان

كنت أقرأ مقامات بيرم التونسى التى قدم لها طاهر أبو فاشا بدراسة رائعة حين وصلت إلى «المقامة الكركونية» .. وهى تحكى عن فقيه أكل فى إحدى اللوكاندات . وفوجئ أن الحساب أربعون قرشا فرفض أن يدفع أكثر من قرش . وفى المقامة صورة للأسعار أيام زمان ..

يقول بيرم التونسى «حدثنا الأعرج بن قلعان . قال نحن معشر الفقهاء أمتن الناس أساسا . وأشدهم مراسا . أكلنا اللحم حين كان الخروف بنصف ريال . والسمن . حين كنا نشترى بالقرش ثلاثة أرطال . وكنا نأكل العسل من البلاليص . والعجوة من الأبراش والجعاميص (الكتل) .

زمان يوقد المصباح فيه بنور الزيت لا بالكهرباء
نعم كانت منازلنا ظلاما ولكن القلوب على صفاء
وكان طعامنا أبدا كثيرا فيغرف فى القصاع وفى الدلاء
وشاء الله أن عشنا وجئنا إلى زمن الملاعق والغلاء

نعم . وإنه لمن علامات الساعة . أن يباع الطبيخ فى الدكاكين كالبضاعة . فقد دخلت أحد هذه الدكاكين (يقصد اللوكاندة) فوضع أمامى ملعقة وحربة (يقصد شوكة) بجانبها سكين . فقلت : إنى أريد طعاما . ولا أريد حربا وصداما . ماذا تبيعون فى هذا الدكان . مما يأكله الإنسان ؟ قال : عندنا بطاطس ولوبيا . وخرشوف وباميا . وأرز

وملوخية . وشوربة وشعرية . وحمام وفراخ . وكباب فى أسياخ . وسبانخ ورجلة . وكباب فرن وكباب حلة . وشكشوكة وقلقاس . وكوارع ولحمة راس . فقلت أعطنى الأكثر دسما والأكبر لقما .

ويحكى بيرم عما أكله الأعرج بن قلعان . وهو طعام مهول . ثم يقص علينا أنه سأل الجرسون ــ كم يا غلام حق هذا الطعام ؟

فقال أما وقد ملأت كرشا . فادفع أربعين قرشا . فقلت له ــ ياهذا إن أربعين قرشا تدفع أجرة بيت . أو يجهز بها ميت . أو تدفع مهرا لعروس . أو حق جاموس . وليست تدفع فى أكل . من الحشيش والبقل . فدونك قرشا لن أعطيك غيره ولو طلعت عينك . وإلا فالمحاكم بينى وبينك .

ويمضى بيرم فى حكاية ما حدث لصاحب المقامة من تكدير وإهانة . بسبب الغلاء الشديد الذى عم وطم . فقد أكل الفقيه تلالا من الطعام وكان المطلوب أربعين قرشا . أحيانا أتصور أن هذا الفقيه دخل أحد المطاعم فى زمننا وأكل ما أكله . كم كان يدفع ؟ لا أقل من ٤٠٠ جنيه فيما دفع فيه زمان قرشا . وكان المطلوب أربعين قرشا .. رحم الله الغلاء أيام زمان . وأعاننا على غلاء هذه الأيام .

بـلاص المـش

يجب على الإنسان بين كل حين ومين أن يقوم بتصحيح مساره الاقتصادى عن طريق تصنيع قدرة من المش .. والمش من الأغذية التى حفظت الشعب المصرى من الانقراض وأعانته على البقاء وتكملة مسيرته التاريخية خلال خمسة الجبنة القديمة المختطة التى تسبح وسط سائل كثيف كان أسمه الشرش وصار اسمه المش . ويتراوح لونه بين البيج والبنى . والمش من الأطعمة العجيبة التى تتوالد . فإنك تستطيع أخذ مغرفة من قدرة مش قديم . وتضيف إليها أشياء فتتحول بعد سنة أو سنتين إلى قدرة مش جديد لا يلبث أن يتحول إلى قديم ويتوالد هو الآخر .

وأعجوبة المش فى التوالد والتكاثر لا تدانيها إلا عجيبته الثانية فى الأكل .

فى جميع الأطعمة يجب الإنسان أن يقل حجم الخبز ويزيد حجم الغموس . باستثناء المش . فإنك تستطيع أن تأكل ثلاثة أرغفة من الخبز بنصف ملعقة من المش . وبهذه الخصيصة يصير المش من أعظم الأطعمة الاقتصادية فى العالم ..

وأول قدرة من المش فى التاريخ المصرى هى التى صنعها الملك الفرعونى مينا نارمر موحد الوجهين وحاكم البرين والبحرين . صنع الملك خميرة من المش واستعان بلجنة ضمت أخطر الأروبات والقرشانات المصريات . ووزعت أجزاء من خميرة المش على الأسر المثالية فى الشعب المصرى .

فصنعت كل أسرة قدرتها من المش . وتوارث الأبناء خميرة مش الآباء . وأسلموها من بعدهم للأحفاد .. ويصنع المش من الجبنة القريش أو الضانى . يضاف إليه شرش مش قديم . وقليل من المورته أو كثير حسب أسرار الصناعة . والمورته هى بقايا الزبدة إذا ساحت على النار وتصاعدت رائحتها الذكية . والمورته هى دموع الزبدة . وعكارة السمن البلدى الأخضر الذكى الرائحة . ويضاف ـ بأسرار مجهولة إلا عند بعض الأسر . يضاف قشر اليوستفندى أو لا يضاف . يضاف الفلفل الأخضر أو لا يضاف ثم يوضع المش بعد الخطوة الأولى من تركيبه السرى الغامض . يوضع فى بلاص من الفخار بعد أن تسد فوهته بالطين والقش ليتنفس .. ثم يوضع البلاص فى مكان مكشوف تشرق عليه الشمس . وتشرق الشمس كل يوم . ويدور المش ويدور . يتنفس ويتحول ويتغير ويتعتق ويدور .. حتى إذا مر وقت يعتبره المصريون من الأسرار فتحت قدرة المش وزاولت وجودها فى ملء بطون البؤساء لكى يلدوا بؤساء آخرين .

بـلاغ إلى نيابـة التعـذيب

السيد المستشار المحامى العام لنيابة التعذيب .. بعد تقديم التحية .. وصلنى فى الصباح المبكر « رغيف عيش » بلدى . ولم أكد أراه حتى أيقنت من النظرة الأولى إليه أنه قد تعرض لسلسة من عمليات التعذيب القاسية ..

كان الرغيف مضروبًا . ومنفوخًا . ومحترقًا .. وحاولت أن أقطعه إلى ٤ أجزاء من أجل تحويله إلى ٤ سندوتشات طعمية . ولكن الرغيف كان يئن وهو ينقطع . وتوقفت يدى بالسكين وسألته : مالك .. قال الرغيف .. عذبونى .. سألته : كيف عذبوك .

قال رغيف العيش : كنت عجينا بريئا أبيض . لم أرتكب ذنبا طوال حياتى ولاأثمت فى شىء . ثم فوجئت أنهم أدخلونى الفرن الحربى . وهناك تركونى ساعات بغير سؤال ولا استجواب حتى تبعثرت خوفًا وصرت دقيقًا سائبًا .. ثم دخل على أحد من زبانية الفرانين . ودلق فوق جسمى الأبيض ترابا أسمر . أردت أن أتكلم أو أصرخ أو أستغيث ولكنهم ضربونى ..

سألت الرغيف : كيف ضربوك .

قال : ضربونى بأيديهم بعد أن سكبوا على الماء . وتحولت إلى عجين . ودخل الفرن الحربى كثيرون وانهالوا على ضربًا . كانوا يريدون منى اعترافًا مكتوبًا بأننى رغيف أبيض . سألت عن التهمة فقالو لى أنت تعرف كل

شيء فلا تدعي السذاجة والبراءة وتضيع وقت المحققين . نفخوني بعد ذلك لأعترف ثم فوجئت أنهم أدخلوني النار وأحرقوني ..

قلت لنفسي : لعل الرغيف يبالغ قليلاً . ووضعت داخله الطعمية محاولاً عمل سندوتش ولكن الطعمية سقطت منه .

قلت للرغيف : لماذا تسقط منك الطعمية ..

قال الرغيف : سابت مفاصلي فلم أعد أستطيع الاحتفاظ بشيء .

قلت للرغيف : في كلامك شيء لا أصدقه . أنت تنتهز فرصة بلاغات التعذيب وتقف في الطابور وتدعي أنهم عذبوك .. هل كنت تريد أن تتحول من دقيق إلى خبز بغير أن تدخل النار ..

قال الرغيف : عوضي على الله . لم تصدقني أنت ولا صدقني الذين عذبوني .. ماذا أفعل .. لقد شكوت إليك فخذلتني . وأعرف أن الشكوى لغير الله مذلة .. ولقد أذللت نفسي بالحديث إليك .

تركت الرغيف أمامي رحت أتامل وجهه . كان محروقا في مواضع عديدة وكان مغضبا مليئا بالتجاعيد التي لاعلاقة لها بالشيخوخة . وقلبت الرغيف في يدي فرأيت الردة قد شابت من هول التعذيب . ورغم كل شيء . بقي على وجه الرغيف تعبير من الإستسلام البائس الصابر .

بصراحة . صعب عليّ الرغيف . والأمر مرفوع للمحامي العام لنيابة التعذيب للتحقيق مع مراكز القوة في مؤسسات العجين والخبز والأفران . والعاقبة عندكم في الأفران .

مدام ليلى العامرية

لماذا نصدق فى الحب حين يكذب الطرف الآخر . ولماذا نتعمد الكذب فيصدق من نحبه . أيكون هذا الظلم سرا من أسرار الحياة وفتنة وابتلاء لبنى البشر من سلالة آدم ؟ لست أعرف . وكلما ازددت معرفة زدت جهلا . ولكن ما أعرفه وأقرأه وأسمعه من حكايات العاشقين يقول إن العشق والمأساة وجهان لعملة واحدة . كان قيس بن الملوح صادقا وكانت ليلى العامرية تكذب . هذا النوع الداخلى من الكذب . وهو نوع لا يظهر على ملامح الوجه ، ولهذا جن قيس وتزوجت ليلى وزادت سمنة وامتلاء وأعادت كل فساتينها القديمة للخياطة أم عمرو بن غطفان ، لتعيد توسيعها من جديد .. وحين كان قيس هائما على وجهه فى الصحراء المحترقة يبكى وينشد الشعر كانت مدام ليلى العامرية تقيس فساتينها القديمة وتقول للخياطة إن حردة الصدر ليست مضبوطة . كانت تريد حردة الصدر أوسع ليزيد غرام قيس ويزيد جنونه على البعد .

وداخلى اشفاق يمتزج بالأسف تجاه ليلى العامرية . كما أن داخلى احترام بالغ لجولييت ، لقد انتحرت جولييت وعاشت ليلى ، كانت جولييت شخصية قوية وكانت ليلى شخصية ضعيفة ، قالت جولييت لا وقالت ليلى نعم .. كانت جولييت هى مدموازيل لا .. وكانت ليلى هى مدام نعم . وليلى العامرية هى الحضارة العربية فى ضعفها ، وهى حضارة لا يقول أفرادها كلمة الرفض ، أما جولييت فهى الحضارة الأوربية فى نهضتها .

وهى حضارة يملك أفرادها القدرة على الاعتراض والرفض وقول «لا» حتى لو وصل الأمر لحد الانتحار ..

والحضارة العربية فى ضعفها تؤثر الحياة على الموت ، وتفضل السلامة على الخطر ، ولهذا تزيد هذه الحضارة سمنة وامتلاء وتنجب أطفالا كثيرين ولكنها لا تحقق أى شيء عظيم ، أما الحضارة الأوروبية فى نهضتها فهى تتحدى السلامة بالخطر ، وتؤثر الموت على الحياة فتكتب لها الحياة ، وهى إذا ماتت صنع موتها آدابا عظيمة وفنونا رائعة ، وقد تحولت قصة روميو وجولييت من حادث بوليسى وقع فى فيرونا إلى مسرحية وفيلم وباليه وأوبرا وموسيقى وإذاعة وتليفزيون وعشرات الأعمال الفنية .

أما موضوع قيس وليلى فلم يصبح غير مسرحية واحدة شعرية .. وعلى حين يجد الكتاب فى روميو وجولييت مأساة يمكن تناولها بآلاف التفسيرات والرؤى الفنية ، يكتشف الكتاب العرب أمام قيس وليلى أنهم إمام قصة حب معوقة ، نصفها عاشق ونصفها بلا إرادة ، وزواج ليلى على المستوى الفنى يعنى تبويخ الحدث وإطفاء توهجه وانتهاء الصراع واستسلام أحد الطرفين لكلام الناس وحكماء المجتمع ومسايرته ونفاقه للتقاليد المتبعة ..

ومثل هذا اللون من الحياة لا يبدع فنا عظيما ، لأن الحلول الوسط لا تبدع فنا وإن أبدعت أحزانا تؤدى إلى الجنون .

بيجاما .. صينى كستور ! !

فى عصر الملك مينا نارمر . تم توحيد الوجهين القبلى والبحرى نهائيا . وكان الوجه القبلى يلبس بيجامات كستور مقلمة بالعرض . وكان الوجه البحرى يلبس بيجامات كستور مقلمة بالطول . وجاء الملك مينا نارمر ووحد البيجامات الكستور للوجهين . وولدت البيجامات المربعات أو الكاروه من هذا الزمن التاريخى السحيق .

وفى عصر خوفو كانت مصر تصدر آلاف البيجامات الكستور إلى الدول المجاورة . وكانت تجعل لها أثمانا رمزية وترسم عليها القطط والنمور وآمون رع وكل آلهة مصر الوثنية . كنوع من أنواع الدعاية لهذه الآلهة .. وفى عصر رمسيس الثانى وتحتمس الثالث كان يفرض على الأسرى لبس البيجامات الكستور المصرية المقلمة . إشارة إلى خضوعهم للنظام المصرى . واستمرت صناعة الكستور تزدهر وتتقدم وتمشى للأمام . حتى جاء الفتح العربى لمصر . وحين دخل عمرو بن العاص مصر . أهدى المصريون لأحد جنوده بيجامة كستور لتدفئه فى برد الشتاء . وكانت الجلابية تنشلح أثناء نوم هذا الجندى فيصيبه البرد .

وظلت مصر رائدة للكستور على طول التاريخ القديم والوسيط حتى جاء العصر الحديث . وجاء معه الشتاء . واستجابة منى لتقاليد قدماء المصريين . قررت شراء بيجامة كستور . وقد تواترت الأخبار والأنباء عن وجود بيجامات

صينى كستور . وقد اندهشت وانبهرت وأنوهرت . مثلما انبهر محمد عوض حين سافر من قريته إلى بنها فى إحدى مسرحيات فؤاد المهندس .

سألت : هل تصنع الصين بيجامات كستور ؟ قالوا : نعم ! قلت : عندهم وقت لصنع بيجامات كستور وتصديرها لنا .. نحن بلد الكستور ؟ قالوا : نعم ! قلت : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . شعب عدده ٨٠٠ مليون لو صنعوا طابورا من أربعة أشخاص لداروا حول الكرة الأرضية وهم وقوف فى أماكنهم . ناس عددهم ٨٠٠ مليون ونحن عددنا ٤٠ مليونا . وهم عددهم ٨٠٠ مليون . ورغم ذلك يجدون وقتا لإنتاج البيجامات وتصديرها إلى مصر المحروسة بلد الكستور والقطن والمحلة الكبرى وصا الحجر وتانيس وتوت عنخ آمون . ما هذا الكلام . هل نحن فى حلم أم فى علم . لو افترضنا أن كل صينى عنده بيجامتان للصيف وبيجامتان من الكستور للشتاء . فهذا معناه أن إنتاج الصين من البيجامات الكستور هو ٤ فى ٨٠٠ مليون يعنى ٣٢٠٠ مليون بيجاما يعنى ٣٢ أمامها ٨ أصفار . ورغم ذلك يبقى عندهم جهد لإنتاج بيجامات كستور وتصديرها إلينا . هذه أرقام إنتاج فلكية . ضربت كفا على كف . وذهبت لشراء بيجاما كستور صينى . وعدت بها سعيدًا مسرورًا منشرحًا ولبستها ونمت بها .. وكانت ليلة ليلاء ..

إن الحلم الذى رأيته أو الكابوس الذى رأيته لا يمكن حكايته لأحد إلا غدا .. يجب أن أستجمع أعصابى لأحكيه .

أهـل اليمـين يتكلمـون هكـذا

كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الناس .. سأقول لك فلا تقل لأحد .. إن هناك وصفة سرية سحرية للنجاح .. تفاءل .. لا تيأس .. ابتسم .. هل أنت حزين ؟ هل أنت ضنين ؟ لا تبتئس ولا تكشر .. غدا تغرد العصافير .. ليست هناك أشجار جوار بيتكم لتغرد فوقها العصافير . ولا يهمك . بعد مئة عام سيكون جوار بيتك أشجار وعليها عصافير تغرد . لا تقل لى موت ياحمار لما يجيلك العليق . هذا مثل سوقى ونحن نتحدث فى التفاؤل والجمال ..

ننتقل إلى النقطة الثانية . التفاؤل هو سر الشباب وسر جمال البشرة . هل بشرتك جميلة ؟ هل بشرتك ناعمة .. إذا كانت بشرتك خشنة فالسر فى ذلك هو سوء التغذية . لماذا لا تأكل التفاح والكمبوت ؟ إن التفاح والكمبوت والتفاؤل هى السر فى نعومة البشرة .. تقول إنك فقير ولا تستطيع شراء التفاح والعنب .. أرجوك .. لا تثر فى وجهنا المشاكل كل لحظة .. إذا لم تستطع شراء الفاكهة فهناك دواء للبشرة ثمن العلبة خمسون دولارا . وأنت تحتاج إلى ٨٠ علبة لتصير بشرتك ناعمة ..

ابدأ الآن وتفاءل . ننتقل إلى النقطة الثالثة .. ابتسم دائما .. افرح .. لا تمش مطأطئ الرأس .. ارفع رأسك .. افرد كتفيك .. استنشق الهواء بقوة .. انظر إلى أعلى .. إلى القمر .. لقد صعد الأمريكيون إلى القمر ..

عقبالك .. سوف تصعد يوما . لو قلت لنفسك أمام المرآة كل يوم عشر مرات اصعد إلى القمر فسوف تصعد إلى القمر . امضغ الطعام جيدا لتكون أسنانك سليمة وتصبح سعيدا . إن السعادة ليست فى المال . إنها فى الأسنان . هل أسنانك لامعة . هل أسنانك بيضاء . تفاءل فغدا تغرد البلابل .. وإذا لم تجد أى بلابل فاشتر اسطوانة عليها بلابل واسمعها .

لا تترك أى شيء يمحو ابتسامتك . الأوتوبيس ملان . خذ الأوتوبيس الذى وراه . لم يأت الأوتوبيس . خذ التاكسى الذى بعده . لم يأت التاكسى الذى يليه .. ولا يهمك .. ابدأ رحلتك إلى البيت سيرا على الأقدام . ليس هناك مكان تسير فيه .. أين ذهب الشارع ؟. أليس هناك رصيف للشارع .. الرصيف محفور والشارع جبال وسفوح وأخاديد وخيران .. إياك أن تحزن أو تبتئس .. هذه محاولة لعكننتك من دول المعسكر الشرقى .. لقد سار ابراهام لنكولن حتى حفيت قدماه .. والسير من أهم العوامل التى تؤدى إلى السعادة .. ليست السعادة فى المال ولكن السعادة فى الأسنان والأقدام .. فى السير على الأقدام .. السير رياضة العظماء .. أنت عظيم لأنك تسير .. وأنت تسير لأنك عظيم .. ابتسم وأنت تسير .. ابتسم من فضلك ..

نحن نقوم بتصويرك فلا تكشر ..
ابتسم .. ابتسم من فضلك .

أهـل اليسـار يتكلمـون هكـذا

لم ينس الزعيم الديالكتيكى العظيم شيئا فى كتبه . لقد وضع أجوبة لكل مسألة . وحلولا لكل مشكلة . ومفاتيح لكل قفل ومعضلة . كما بين لنا العلاقات الفوقية والتحتية . وتحدث عن المتغيرات التى تحكم تطور المجتمع وصراع الطبقات فيه . وصحيح أن هذا الزعيم لم يذكر الحمير فى كتبه . ولم يتحدث عنها فى فصل خاص . ولكنه أعطانا المفتاح الجاهز لفهم كل مسألة . وحدثنا أن المناخ الثقافى النابع من القوى الاقتصادية هو المسئول الأول عن بطء تطور الحمير.. ورغم كل ما يقال فإن القانون السائد الذى يحكم مجتمع الحمير هو الصراع الطبقى . هناك طبقة من الحمير عندها برادع . وطبقة ليس عندها برادع .

وهناك حمير تأكل الفول . وهناك حمير لا تأكل غير التبن . ولقد تميزت طبقة الحمير المنعمة . وهى عادة حمير العمد فى الأرياف أو حمير الكولاك (طبقة صغار كبار الملاك) . الأمر الذى أدى لنشوب صراع طبقى بين الحمير المستغلة الامبريالية والحمير المسحوقة الكادحة . ولقد زاد من قسوة هذا الصراع . وتسبب فى التغيرات الكمية التى تؤدى إلى تغيرات كيفية . زاد من هذا كله وتسبب فيه أن هناك حميراً عندها حدوة وحميرا ليست عندها حدوة..

ويحاول علماء الامبريالية البورجوازية المتعفنة إقناعنا أن الحمير نوع من أنواع الحيوان الذى يستخدم فى الجر والحمل . وهذه محاولة لإخفاء الحقيقة

وخدمة الاحتكارية الامبريالية . وليس صحيحا أن الحمار مخلوق وديع وصابر ومسالم . إن هناك صراعا طبقيا بين الحمير . والدليل على ذلك هو كمية العض والرفص التى تمارسها الحمير المسحوقة .. لقد عض حمار كادح حماراً برجوازيا متعفنا . وصحيح أن الأهالى ضربوا الحمار الكادح لاجترائه على حمار العمدة . إلا أن هذا دليل على حتمية الصراع الطبقى وحتمية المعركة الدموية ..

وإن الفجر العظيم الطالع من جوف الليل الأحمر المبردع . سوف يحمل فى جميع الحمير البائسة أملاً هائلاً فى الخلاص ..

وسيجىء الوقت الذى تختفى فيه البرادع . ولا يكون هناك حمار أحسن من حمار . وينطبق قانون الصراع الطبقى على عالم الحيوان مثلما ينطبق على عالم الأشجار . إن الأشجار العارية التى ليست عليها أغصان وزهور . سوف تخلع الأشجار التى عليها أغصان من جذورها . وستلقيها إلى التاريخ الديناميكى ليقول فيها كلمته ..

ولسوف تكون الكلمة دائما .. عاش صراع الطبقات حراً مستقلاً ..

حديث مع رمسيس الثانى

لاحظت أثناء مرورى على ميدان رمسيس أن وجه الملك رمسيس الثانى الذى ينتصب فى الميدان ويطل عليه من خلال رقدته الصخرية الأبدية .. لاحظت أن وجه الملك الفرعونى متغير ..

ودعكت زجاج النظارة وعدت أنظر .. لم يزل وجه الملك متغيرا وأقرب إلى الذهول .. وأسرعت من أمامه وقلت إننى متعب ولم أنم فترة كافية وربما كان ما شاهدته تخيلات .. فى اليوم التالى فوجئت أن وجه الملك متغير تماما .. وحاولت أن أسير .. استوقفنى الملك الفرعونى فوقفت .. سأل بصوت رخامى بارد : لماذ ترقبنى منذ أمس ! ؟

قلت : خيل إلىَّ أن وجهك متغير.

قال : وجهى متغير فعلا ..

قلت : لماذا ..

قال : ما الذى يحدث فى الميدان الذى يحمل اسمى ..

قلت له موضحا : إنهم يصلحون الميدان ويوسعونه ويزيدونه جمالا لتحس جلالتك بانسياب المرور وتدفقه ..

قال رمسيس : تصورت أنكم تبنون هرما جديدا ..

سألته : هل كان عدد المهندسين والعمال كبيرا يا صاحب الجلالة.

وقال الفرعون : لم يكن عددهم كبيراً ولكن أصواتهم كانت عالية

وتوحى أنهم كثيرون .. تخيل أننى صحوت من نومتى الأبدية مرتين .. مرة فى أسبوع الضوضاء حين صدرت التعليمات بمنع أصوات العربات فزادت الأصوات .. ومرة ثانية حين بدأت أعمال الحفر والبناء فى الميدان .

سألته : أرجو أن يكون الفرعون راضيا عن سير العمل ..

قال : يؤسفنى أن أبلغك أننى لست راضيا .. إن البطء الذى يتحرك به العمال لا يتفق مع كمية الضجيج الذى يصدرونه .. لماذا يتشاجرون دائما .. ولماذا يضعون الرمال فى الطريق فتعوق سير العربات . وما هذا السائل الأحمر الذى يشربونه فى أكواب شفافة ..

قلت : هذا شاى التموين يا صاحب الجلالة .. وهو يشبه الجعة فى زمانكم وإن كان يحرق الدم قليلا .

قال : دمى محروق رغم أننى لا أشرب الشاى .. متى تنتهون من الميدان لأحس ببعض السلام فى نومتى الأبدية . ثم ما معنى تعريض الرصيف الضيق وتوسيعه ليزداد اختناق المرور بدلا من انسيابه .. متى ينتهى العمل فى الميدان . إننى أكاد أطق من أجنابى .

قلت له : أرجوك .. لا داعى للطقفان لأنك مصنوع من الصخر .. وسيتناثر الصخر فى الميدان وتعود إليه الفوضى .. اصبر قليلا فالصبر طيب ..

قال رمسيس الثانى : طيب ..

رمسيس الثاني يحتج

السيد الأستاذ المحترم محرر صندوق الدنيا .. بعد التحية .. قرأ الملك رمسيس الثانى الحديث الذى نشرتموه بالأمس . والذى زعمتم فيه أنكم أجريتم حواراً مع جلالته .. وقد اعتبر الملك أن الحديث قد تضمن عبارات تمس شخصه وعلاقاته الودية بجيرانه .. فقد أسندتم إليه أقوالا لم يقلها .. وحاولتم الإيقاع بينه وبين سلطات البلدية .. وينكر الملك رمسيس أنه قابل هذا الصحفى أو أجرى معه أى حوار .. ويحب الملك أن يؤكد لسيادتكم أنه - بوصفه تمثالا من الصخر - فإنه لا يتكلم .. وقد أخذ جلالته على نفسه بالا يتكلم ابتداء من اللحظة التى تحولت شفاهه فيها إلى الصخر : ولنفرض أن جلالته قد أذن لأحد الصحفيين بالمثول بين يديه والكلام .. فهل يتصور أو يعقل أن يتحدث جلالته فى الشئون البلدية والحفر والمطبات والرمل والزلط ! هل يتصور أن يهجر جلالته الموضوعات الحيوية والأساسية ليتكلم عن الشوارع ؟ نحسب أننا لسنا فى حاجة إلى تبيان وجه الحق فى مسألة وجه الحق منها ظاهر .

ويحب الملك رمسيس الثانى أن يؤكد رضاه التام عن العمل الذى يجرى فى الميدان العظيم الذى يحمل اسمه ، ويرى جلالته أن هذا العمل إنجاز إيجابى منبثق من همة البلدية العالية ، وإجراء ثورى انعكاسى وتبادلى لأنه يوسع الأجزاء الضيقة ويضيق الأجزاء الواسعة مراعيا ثابت الحضارة المصرية القديمة ورغبتها فى النوم داخل شرائط المومياوات المقدسة دون مشاكل .

ويود الملك أن يشيد بالجهد الجبار الذى يبذل فى الميدان ، وليس صحيحا أنهم فى أوروبا يفعلون ما استغرق منا شهوراً فى ثلاثة أيام ، فقد زار جلالته أوروبا منذ عام فى رحلة علاج لمومياته واكتشف أننا أسرع وأدق . ولقد بنى أجدادنا فى الأسرة الرابعة الأهرام فى عشرين سنة ، وكان المقاول الذى بناها هو أمحوتب رع أمحوتب . ولقد كان حظنا سيئا لأننا لم نهتد إلى المقاولين الفرعونيين مثلما اهتديتم إلى المقاولين العرب ، ولو أننا اكتشفنا ذلك لانتهينا من بناء الهرم فى عشرين يوما بدلا من عشرين سنة !

ويحب الملك أن يؤكد أن علاقاته بمحافظة القاهرة تقوم على المودة المتينة والصداقة المتبادلة ، ويشجب الملك كل محاولات النيل منها أو إحراجها ، وليس صحيحا أن جلالته خائف من المحافظة « لحسن تشيل تمثاله » مثلما شالت أكشاك الكتب ، ليس هذا صحيحا لأن جلالته شجاع للغاية .. وقد حارب بمفرده جيشا من الحيثيين وانتصر عليهم وقتل وحده ثلاثة آلاف جندى ، وكان سهمه ينفذ فى دروع نحاسية سمكها بوصة ونصف بوصة .. فالرجا تصحيح الأمر فى جريدتكم ولكم الشكر .

بعنخ توت بعنخ

مدير العلاقات العامة لبلدية رمسيس الثانى

لعنـــة الفـــراعنـــة

أيقظنى من النوم روح غامض .. جلست فى الفراش ومددت نظرى فى الظلام وأحسست أن معى فى الحجرة أحدا .. قلت داخلى دون صوت : من هناك ؟ قال صوت اخفض من صوتى الداخلى : استيقظ فوراً واجمع ذهنك لأن روح الملك خوفو تريد أن تراك .. أحسست بانزعاج وقلت : كيف أستقبل جلالته بالبيجامة ؟ قبل أن يرد علىَّ الصوت دخلت روح الملك خوفو ، كانت ملامح الروح متجهمة وأقرب إلى الغضب .

قلت للملك خوفو : خير يامولاى .. ما الذى أزعجك من رقادك الأبدى وجاء بك إلينا ؟.

قال خوفو : جئت فى موضوع خطير .. ما هى معلوماتك عن مشروع هضبة الأهرام السياحى .

قلت : لا تزيد معلوماتى عن معلومات جلالتك إلا قليلاً . المشروع يامولاى من مشروعات الانفتاح . وذلك شىء لا علاقة له بالملك الفرعونى منفتاح ، والحكاية أن إحدى الشركات الأجنبية سوف تبنى مدينة سياحية فى الهضبة التى يحتلها هرم جلالتك ..

قال خوفو : أبلغتنى أرواح بعض الأتباع أخبارا عن مناقشة مجلس الشعب لهذا المشروع ، الموضوع جد إذن لقد أحسست بانزعاج بالغ وقلق عنيف .

قلت : لماذا يامولاى ؟ تعرف أن قليلا من السياحة يصلح معدة

الاقتصاد . تعرف أننا فقراء وليس الفقر عيبا .. وسوف يتغير المنظر حول جلالتك بالبحيرات الصناعية وحمامات السباحة والبوتيكات والبيبسى .

قال خوفو : هل تعرف أن الأهرام جبانة ؟ هل تعرف أن منطقة الأهرام قرافة من قرافات الموتى ؟ ألا تعرف أن للموت جلاله وللتاريخ احترامه ولنا نحن قدماء المصريين لعنة اسمها لعنة الفراعنة .

قلت : أرجو أن يهدأ جلالة الفرعون ولا يغير دمه .

قال خوفو : دمى متغير ومحروق تماما . كيف سولت لكم أنفسكم أن تخدشوا جلال منطقة الأهرام . إن أرواحنا تعيش هناك ونحن لا نريد أن نطل على سواح يأكلون الجيلاتى ويشربون البيرة . لا نريد أن يتحول اسم الملك خوفو العظيم إلى اسم بوتيك يبيع الشرابات المستوردة .. نحن لا نمانع أن يأتى السواح ويتفرجوا علينا . لكن أى مهزلة أن يعيشوا معنا .. أليس عندكم أى إحساس بالتاريخ ؟ أليس فى عروقكم دم من دم قدماء المصريين .

قلت : مولاى .. إنك تهيننى .

قال : لقد سكنتم فى مقابر موتاكم المعاصرين وزاحمتم الموتى وأقلقتم سكونهم وراحتهم الأبدية . وتريدون الآن إسكان الأجانب فى جبانات الفراعنة .. هل ضاقت عليكم الصحراوات الواسعة ؟.

قلت : مولاى نحن فقراء كما تعلم .

قال : فقير فى عقلك ومهزوم الروح من الداخل.. اسمع هذا الإنذار.. إذا لم ترجعوا عن مشروع هضبة الأهرام فسوف أحمل عزالى وآخذ أهراماتى وأهرام عيالى خفرع ومنقرع وأهاجر. هذا تهديد بالعزال يليه تهديد بلعنة الفراعنة.

خنـاقة فرعــونية

تذكرت عيد ميلاد الملك الفرعونى «خفرع» ، وحسبت يوم وفاته الذى مضت عليه أكثر من أربعة آلاف سنة ، وحسبت يوم مولده ، وقدرت أن أبناءه وأصدقاءه قد ماتوا ولم يعد هناك من يحتفل بعيد ميلاده ، وقد تأثرت كثيرا لغربته ووحدته ، ولما كنت أعتبر نفسى حفيداً من أحفاده فقد قررت الاحتفال بعيد مولده ، وقررت أن يكون الاحتفال على الطريقة الفرعونية ، وهكذا أحضرت «طورطة» من الحجر ، ووضعت فيها ٤ مسلات ترمز كل مسلة منها لألف سنة وأوقدت رؤوس المسلات بدلا من الشَموع ، ثم أطفأتها ، ومسحت وجهى بالزيت وقطعت الطورطة والتهمت منها قطعة ، وهبطت قطعة الطورطة الحجرية على قلبى فكادت تقتلنى ، وناديت روح الملك خفرع فحضرت الروح بعد ثلاث ساعات ونصف ، كدت أموت فيها .

قلت لروح الملك خفرع : تأخرت فى الحضور يا صاحب الجلالة .

قال : لقد حضرت روحى من العالم الآخر فى ثوان ، ولكنهم أنزلونى فى شبرا ، ولم أجد مواصلات تحضرنى إليك ، ولقد وقفت أنتظر تاكسى لمدة ساعتين ونصف ، وأخيرا جئت سيرا على أقدامى .

قلت له : آسف لإزعاجك ، أريد استشارتك فى أمر هام ، لقد احتفلت بعيد ميلادك ، وأكلت قطعة من الطورطة الحجرية فكادت تقتلنى .

قال خفرع : أنت مخطئ .. إن الأحياء لا يستطيعون الحياة على طعام الموتى أو حضارتهم .

قلت له : أنقذنى .. الطورطة على قلبى مثل الحجر .. هل ذنبى أننى حفيدك وأحد أبناء حضارتك .

قال : اخرس .. لا تضحك قلبى الموجوع ، كلما سمعتكم تتحدثون عن حضارة مصر الفرعونية ، أو تحاولون اقتسام أمجادنا القديمة ، أو تتباهون بما فعله أجدادكم شأن الأطفال الفاسدين ، كلما حدث هذا ضحكت .. ولكنه ضحك كالبكاء .

قلت : لماذا يا صاحب الجلالة .

قال : هل تصدق أنكم أحفادنا فعلا ، لقد صنعنا مركب خوفو الجنائزية من ١٢٢٤ قطعة فلم ندق فيها مسماراً واحداً ، وبنينا الأهرامات فى ظل نظام إدارى يبدو جواره نظام الإدارة فى أمريكا طفلا يحبو على صدره . وكانت الدقة الرائعة والانضباط الكامل والتفانى فى العمل سمة مميزة لعصرنا .

ماذا حدث لهذا كله .. كيف تبلغ بك الجرأة والبجاحة أن تزعم أنك حفيدى وواقعك بهذه الصورة ..

قلت : مولاى الملك خفرع

قال ثائراً : أرجوك .. لا تذكر اسمى على لسانك . [وقال حانقا] لا تحتفل بعيد ميلادى مرة ثانية ، [وقال ساخطا] لا أنت ابنى ولا أنا أعرفك ..

[ثم قال متذللا] لو سمحت .. شوف لى تاكسى أروح شبرا .

حوار مع خوفو !

كنت أجلس فى غرفة مكتبى فى البيت أرتدى الفانلة وروحى تكاد تطلع من الحر .. وعلى حين فجأة دخل الملك خوفو الغرفة .. نهضت واقفا أعتذر عن ملابسى غير الكاملة ولكنه أشار لى بالجلوس .. ظللت واقفا من باب الاحترام والأدب .. فالرجل فى نهاية الأمر حكومة وإن كان سابقا .. جلس الملك خوفو فى مقعد وثير .. وبدت روحه مستقرة وأقرب إلى الحزن والبلادة .. ثم مد يده وأشعل سيجارة فرعونية ونفخ دخانها فى الهواء وهو صامت .. أردت أن أكسر جدار الصمت الزجاجى فقلت برفق :

لعل جلالتك تكون راضيا بعد إلغاء مشروع هضبة الأهرام ..

قال الملك خوفو : لم أحضر للكلام فى هذا الموضوع ..

قلت له : خيرا إن شاء الله .. لماذا شرفتنى بالحضور .

قال : بل شرا إن شاء الله .. شرفتك بالحضور لأبهدلك .

قلت له : جلالتك صريح وسأبادلك الصراحة .. أى عيوب تنسبها إلينا قد ورثناها منك .. ألسنا أحفادك وامتدادك ؟

قال خوفو غاضبا : اخرس .. لا تقل إنكم أحفادنا .. أنتم غجر ولا تستحقون شرف الانتساب إلينا ..

قلت له مستعطفا : إمكانياتنا أقل من إمكانيات جلالتكم .. والدنيا تغيرت والحالة صعب وعباءة الهموم ثقيلة .

قال خوفو : أنت كسول يبرر تراخيه فى العمل .. والتقصير جريمة .. ولكن التبرير جريمة فيها عود .. وفيها ظروفها المشددة كسبق الإصرار والترصد .. لقد كنا فى أيامنا نتقن كل شىء لدرجة الكمال .. ولكنكم اليوم تكروتون كل شىء .. إننى أتحداك أن تشير لى على سيفون لا يشر فى حمام أحدكم .. أو حوض لا تسح المياه من مواسيره .. أو حنفية تغلق بإحكام وتفتح بسهولة .. إننى أتحداك أن تقول لى على شىء متقن .

قلت له : معلهش يا مولاى ..

قال : صار من عاداتكم السيئة تبرير الأخطاء بدلا من الإصلاح .. ومن العجب العجاب أنكم تستغرقون فى الاعتذار والاحتجاج والتبرير والتحرير وقتا أطول من وقت الإصلاح .. هذه مهزلة .. .

قلت له : معهلش يا مولاى ..

قال : لماذا تكرر كلمة معلهش .. ما معنى معلهش ..

قلت : معلش أو معلهش كلمة مصرية حديثة لها معان كثيرة .. وشرحها يا مولاى يحتاج إلى تركيز وتجميع .. غدا أحدثك عنها إن عشنا وكان لنا عمر !

معـــــلهش ! !

قلت للملك خوفو : لكى تفهم جلالتك معنى كلمة «معلهش» . فمن الضرورى أن نعود سباحة ضد تيار الزمن إلى الوراء قليلا ..

قال الملك خوفو : معلهش .. وماله ..

قلت له : ولدت كلمة معلهش من أسرة مصرية عريقة فى بلادتها . أما الأب فهو العجز . والأم هى التراخى . ووالدة الأم هى التوانى . أما والد الأب فهو مهاجر من مدينة كسلانة .. وقد ترعرعت معلهش ونمت وزألطت . حتى إذا بلغت سن دخول المدارس دخلت مدرسة اللا مبالاة الابتدائية المشتركة .. وكانت معلهش أكثر البنات انتظاما فى الانصراف بعد الحضور مباشرة . وظهرت عليها علائم النبوغ المبكر . فلم تحفظ جدول الضرب فى عشرين سنة . وكان هذا مؤشراً بأنها لن تفلح فى المدارس . وبدأت الأسرة تبحث لها عن عريس مناسب يداريها فى البيت ..

كانت معلهش قد أدركت أن عليها أن تنجح فى الحياة الزوجية . بعد فشلها فى المدارس . وهكذا صرفت همها لزيادة نسلها والتكاثر . فكانت تلد كالقطط . أربعة فى البطن الواحد .. وهكذا ولدت معلهش أربعة فى أول بطن . ولدين وبنتين . أطلقت اسم «فقر» على الولد البكرى . وأطلقت اسم «إهمال» على البنت البكرية . أما الولد الثانى فأسمته «كسل» وحارت فى البنت الأخيرة . فأسمتها «تسيب» .. وفى البطن الثانية ولدت ثمانية

كالأرانب . وفى البطن الثالثة ولدت تسعة . بعد سنوات كانت معلهش تنتشر وتتكاثر وتزيد وتنمو ..

لم تمض سنوات حتى زاد عدد أبنائها عن الحد . وتجاوزوا كل حد . وانتشروا كالجراد . ينقض على الأخضر واليابس . ودخلوا كالهواء فى مسام الأشياء .. وهكذا تحولت معلهش من كائن حى إلى فكرة ، ومن حيز فى المكان إلى واقع فى الزمان . ودخلت فى كل شىء . وصارت على كل لسان ..

يقول لك المكوجى معلهش أصل المكوى باردة .. ويقول لك التمرجى معلهش أصل الحقنة مش جاهزة .. ويقول لك النجار معلهش أصل المنشار تِلم .. ويقول لك التلميذ معلهش أصل الامتحان صعب .. ويقول لك الموظف معلهش فوت بكره .. لم يعد هناك مكان لم تدخله معلهش .. حتى المقاهى التى يلعبون فيها الطاولة يرددون فيها كلمة : « معلهش يا زهر » .. كلما خاب رمى الزهر أو لم يصادف الهوى ..

ومعلهش كفكرة تتكون من مقطعين .. ما .. علهش .. ومعناها فى اللغة الهيروغليفية القديمة : ما .. علهش أى مسئولية .. يعنى غير مسئول ..

بحث لغوى هام !

فى اللغة العامية المصرية كلمات لا مثيل لها فى أى لغة من لغات الأرض . وفى هذه اللغة أوصاف يستحيل أن تجد لها شبيها فى أى لغة أخرى . وهذا دليل على أن اللغة العامية المصرية غنية . ويبدو أن اللغات تتحول إلى الغنى إذا تحول أصحابها إلى الفقر . لأن الفقر يدفع إلى التفنن فى الكلام ..

نحن نسمع مثلا عن الأروبة والقرشانة . ونسمع أن فلانة مأرمة . أو نسمع الكلمات إنها كهينة . أو نسمع عن المحن .. أو اللوع .. كما نسمع عن الكفت ..

وهذه الكلمات كلها من الكلمات التى تنفرد بها العامية المصرية .. ولقد بدأت هذه الكلمات تنقرض من حياة المصريين وتتحول إلى أفعال . ولهذا قررنا إجراء بحث أكاديمى سريع عنها ..

الأروبة وصف لمن تعرف أكثر من المعرفة المتاحة لسنها ..

كأن تكون هناك طفلة فى الرابعة من عمرها ولكنها تفهم أن والديها يوزعونها من الحجرة ليتحدثا فى شأن من شؤنهما . أما القرشانة فهى أروبة تخرجت بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف . أى أن الأربنة هى بداية القرشنة . والقرشنة هى نهاية المطاف ..

والقرشانة تعرف أكثر من سنها وتقول أشياء لئيمة لا يتصور صدورها منها . والأروبة تستطيع الايقاع بين الناس إذا نقلت الكلام . أما القرشانة

فتستطيع الإيقاع بين الناس دون أن تنقل الكلام وتقع فى الغلط . والأربنة موهبة معقولة ، ولكن القرشنة موهبة كبيرة ، وتستطيع القرشانة أن تغمز بعينيها أو تتصعب بفمها وتقول بهذه الحركة آلاف المعانى ومعظم مدارس القرشانات ليلية وداخلية ، وتنتقل القرشنة عن طريق السيدات العجائز وهن يتحدثن معا دون أن يعرفن أن البنات الصغيرات يستمعن إلى كل كلمة ويسجلن كل كلمة .

أما التأريم فهى صفة من تعرف كل شيء وتسمع أخبار ما تعرفه وتبدى الدهشة كأنها لا تعرف أى شيء .. أما الكهن فصفة نسائية لمن يشكها دبوس فتتأوه بجزع كأن قنبلة قد انفجرت أمامها ، أما المحن فشيء يقع بين التأريم والكهن ، أما اللوع فهو جماع هذا كله وتلخيصه الوجيز المختصر المفيد ..

واللوع هو هذه الصفة التى تكون فى الإنسان فتجلس أمامه فلا تعرف ان كان مسرورا أو غاضبا ، ولا تعرف له رأساً من قدمين ، ولا تفهم مرامى كلماته ولا اتجاهاتها ولا معانيها الداخلية التى تبطنها معان خارجية ليست مقصودة ..

أما الكفت فهو ثمرة اللوع وإبداع الملوعين ..

وهو علم كبير لنا عودة إليه إن شاء المولى .

يانطـرة رخـي رخـى

أكتب فى أحد الموضوعين التاليين :

(١) هل رأيت الفيل يا خليل .. أو :

(٢) صف القاهرة فى يوم مطير ..

قال التلميذ المجتهد : هذا وصف القاهرة فى يوم بارد ومطير .. الريح فيه من جميع الأنحاء تطير .. أشرقت شمس الصباح ونشرت أشعتها على البطاح .. واستمتع الناس بالدفء والحرارة ، ونسيوا تماما كل البرد والمرارة .. ولم تكد تمضي هنيهات ولحظات ، حتى انفتحت من السماء الحنفيات ، وهطلت الأمطار بعنف وقوة ، كأنها عشرون ألف فتوة .. ومن عادة الفتوات إذا دخلوا فرحاً أن يقلبوه ترحا ، فهم يضربون الكلوب بالكرسى فيسقط الظلام والليل يمسي ، وتنقلب الزغاريد إلى عديد .. ويختلط الحابل بالنابل ، ويصير التليفون كالتليفزيون ، وتتحول الشوارع إلى أنهار وبحيرات ، تضم أسماكا سوداء كالبلح الأمهات ، يتزحلق فيها الماشى والراكب ، وتضيع فيها الشمطاء والكاعب .

فسبحان خالق الشتاء والصيف ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ذى الحول والطول . استمر هطول الأمطار فتبهدل الصغار والكبار ، وطارت الطواقى من رؤوس الخلق ، سواء فى شبرا أو باب الخلق .. وكانت السيارات ترش

المارة بالطين ، فيرفع الناس قبضتهم مهددين ، ولا حياة لمن تنادى ، سواء فى مصر الجديدة أو المعادى .

وفى وقت العصرية ، نزلت فرق الإنقاذ الالكترونية ، بمعداتها العصرية والتكنولوجية ، لإنقاذ الموقف المتزحلق فى السيدة والسبتية ، وأبرزت فرق الإنقاذ أسلحتها الخطيرة ، وقد وصفها أحد الرحالة الأجانب وصفا يقول فيه «كان هناك رجال يمسكون فى أيديهم عصيانا طويلة ، فى نهاية كل عصا مجموعة من الأشياء المتشابكة التى تشبه فروع البلح الزغلول ، ويطلق المصريون على هذا الاختراع اسم « المقشات » .. إشارة إلى أنه يقش كل شىء من أرض الشارع .. وكانت نهاية المقشة مربوطة بحبل أو دوبارة أو كرافتة قديمة أو سلك ، ورغم بساطة هذا السلاح الجديد فقد كان مفعوله عجيبا ، فهو قادر على زحزحة المياه من مكان إلى آخر حتى تصل إلى البلاعة ، ورغم أن رجال الإنقاذ صادفوا بعض المتاعب حين وصلوا إلى هدفهم ، بسبب انسداد الشريان البلاعى فى معظم بلاعات القاهرة . إلا أن هذا لا ينفى أنهم زحزحوا المياه من مناطق تجمعها وكوموها عند البلاعات المسدودة وأنهوا بذلك مهمتهم ، وبقيت مهمة الشمس أن تشرق عليها غدا وتجففها .. » .

هذا ما كتب الرحالة الأجنبى وكان هذا آخر ما كتب ، فقد شوهد وهو يختفى فى مطب مائى . وشوهد الماء يبقلل وهو يغوص فيه ، وكانت آخر كلمات المستكشف هى « معلهش » .

شكولاتة وعين جمل

دعانى أحد أصدقائى لحضور حفل زواج . واعتذرت شاكرا عن الحضور . لأننى أحس بالانقباض فى أفراح الزواج عموما . وكلما حضرت فرحا ودقت الدفوف والطبول . انقبض قلبى فى صدرى وخفت . وقد بحثت فى المراجع والكتب حتى اهتديت لسر خوفى . قديما كان الزواج يتم عن طريق الخطف . وكانت طبول الحرب تدق . وتبدأ المعارك . وتراق الدماء . ثم تحورت هذه العادة وصارت تمثيلا بين أهل العريس وأهل العروسة . يمثل العريس أنه يخطف عروسته . وتدق الطبول أو الدفوف . وتبدأ معركة وهمية كمعارك السينما .. ولم يبق من هذه العادات البدائية سوى دق الطبول فى الأفراح .. اعتذرت لصديقى شاكرا ، ولكنه أصر على دعوتى . لأن أهل العروسة يحبوننى ويريدون رفع رأسهم أمام العريس بإحضار هذه التحفة (التى هى أنا) . والفرجة عليها . وذهبت مستسلما . واشترطت عليه أن نمكث ١٠ دقائق ، ومرت الدقائق العشر . فقلت له : يلـلا بينا نقوم نروح . أنا قلبى مقبوض شوية . قال بصوت آثم هامس : استنى لما تيجى الرقاصة ونتفرج عليها وبعدين نقوم .. زاد انقباضى . وقلت له : انت مجنون .. واحد فى مركزى يتفرج على رقاصة .. ؟

ضحك صديقى حتى سقط من مقعده على الأرض . فرفعته وأجلسته على الكرسى وسألته لماذا يضحك ؟ .. وأجابنى قائلا : الرقاصة اللى انت بتحتقرها دى بتكسب فى اليوم أد اللى انت بتكسبه فى سنة ، انت عارف دى مين؟ .. دى شكولاتة وعين جمل .. شوف مكسبها فى ليلة قبل

ماتحتقرها . بتاخد فى الليلة ٥٠٠ جنيه عشان ترقص فى النايت كلوب . وعندها كل ليلة ٣ أفراح . تاخد فى الفرح ٢٠٠ جنيه . آدى ١١٠٠ جنيه . واحسب لها نقطة كل ليلة ٤٠٠ جنيه . يبقى معاها ألف وخمسميت جنيه .. فى الليلة يا سيد يا محترم ..

اندهشت . وزاد فضولى . وجلست أتفرج على الراقصة .. ظهر رجل محترم جدا وأمسك الميكروفون وقال بصوت عميق مؤثر : والآن .. نجمة الرقص الشرقى العالمى .. وأسطورة هز الوسط العربية .. الراقصة العالمية شكولاتة وعين جمل ..

وعزفت الموسيقى السلام الهز وسطى . وبدأت شكولاتة وعين جمل ترقص .. قررت أن أحسب لها عدد المرات التى ستهز فيها وسطها .. وكان ذهنى مشغولا بحسبة أخرى ، اذا كانت تكسب فى اليوم ١٥٠٠ جنيه . فإنها تكسب فى الشهر ٤٥ ألف جنيه . وفى السنة ٥٤٠ ألف جنيه . وفى عشر سنوات ٥ ملايين و ٤٠٠ ألف جنيه . وفى ١٠٠ سنة تكسب ٥٤٠ مليون جنيه . لو أنشأنا معهدا للرقص الشرقى وتخرجت فيه ألف راقصة كل عام . وكانت الالف راقصة يتبعن القطاع العام . فإن مكسب الالف راقصة فى السنة الواحدة يبلغ ٥٤٠ مليون جنيه . وهذا مبلغ يمكن أن يساهم فى سد عجز ميزان المدفوعات التجارى . ويمكن أن يساهم فى التنمية وبناء سد واطئ يساعد السد العالى . على أساس أن النواية تسند زير .. وفى ظرف عشر سنوات يمكن أن نسدد ديوننا ونبدأ فى إقراض أمريكا وألمانيا والكويت والسعودية . وكل الدول الغنية .. والامل كله معقود على الراقصة العالمية شكولاتة وعين جمل أن تقبل التدريس فى هذا المعهد المزمع انشاؤه ..

الإنسـان كـوز فى المستقبـل

حين أقبل عمر الخيام على عامه السبعين ، راجع عقله فاكتشف أنه لا يعرف شيئا . كان أستاذا فى الفلك والرياضة والشعر والحب . ثم واجهته فكرة الموت فوقف أمامها حائرا مبهوتا . رأى الموت فى كل مكان وزمان . ورأى الحياة تختلط به حتى خشى أن يختلط عقله . إنه يسير على الأرض فيشفق أن يطأ العيون الجميلة والشفاة الحلوة .. ويضع شفته على الكوز الخزفى المليء بالخمر فيتوهم أن طين هذا الخمر كان شفة لامرأة حسناء ثم صارت الى التراب ، ويرفع رأسه إلى شرفات القصور فيرى فى لبناتها كف ملك أو رأس وزير .. إذا وقعت عيناه على كوز خزفى قال إنه إنسان باعتبار ما كان . وإذا أبصر انسانا قال إنه كوز باعتبار ما سيكون . واذا شاهد وجه امرأة جميلة تذكر أنه سيدفن فى التراب فتنمو منه الزهور . وإذا تأمل زهور البستان قال إنها نبتت من وجه حسناء . حتى الورود تولد بعد عناء مع الشمس وصراع مع الطين ثم تبدأ فى إرسال حديثها العطرى ، ولا يمر يومان حتى تموت .. أى غدر يكمن فى الأيام وأى مفاجآت ..

لو كانت هذه السحب تحمل التراب كما تحمل الماء . لأمطرت السماء من دماء الأحباب والعشاق .

ويفكر عمر الخيام .. ما أكثر ما ستبقى الدنيا بعدنا . جئنا إلى الكون فلم يزد شيئا بمجيئنا . وسنرحل عنه فلا ينقص شيئا برحيلنا . أى شيء

تكونه الدنيا غير هذه اللحظة القصيرة العابرة .. لقد درسنا على الأساتذة زمنا - وفرحنا يوم صرنا فى عداد الأساتذة - وإليك ملخص حكايتنا .. خرجنا من التراب ومضينا فى الريح - فهل الحياة إلا منام وخيال وخداع وغرور ..

لو يعلم الإنسان أن عمره يشبه قطرة من الندى - باتت ليلة واحدة على زهرة - ثم رحلت فى الصباح بعد أن بخرتها الشمس .

لو يعلم الإنسان هذا فأى شىء يفيده لو حزن أو ابتأس أو كره أو ثار أو حقد .

ليس هناك غير سلام النفس .. هذا وحده الحل .

السر فى الكوز ! !

لست اليوم هازلا لأن الموضوع جد خطير .. ولسوف أتحدث عن الكوز واستخدامه وأسراره . وربما ظن الناس أننى أمزح أو أخفف عنهم عناء الصهد . وهذا ظن خاطئ . فإننى أنوى تقديم خدمة جليلة للقارئ وهى خدمة تعينه على غسل وجهه فى الصباح حين يفتح الحنفية فلا يجد الماء .. إن أكثر الناس ينزل من البيت بغير أن يغسل وجهه . وقد أحصيت فى الشوارع كثيرين لم يغسلوا وجوههم فى الصباح . وهذا سر غلاستهم لأن الإنسان الذى لا يغسل وجهه يكون قابلا للغلاسة . وقد درسنا العلاقة بين الغسل والغلاسة فوجدناها علاقة تقديم وتأخير لو قدمنا اللام على السين انقلب المعنى من غسل إلى غلس .. نعود إلى موضوع الكوز وأسراره ..

ورد تعريف الكوز فى دائرة المعارف البريطانية تحت باب غرائب الطبيعة وقيل إنه أداة من الصفيح تستخدم فى الشرب والاستحمام . وهذا تعريف ناقص . لأن الكوز يمكن أن يغسل وجه الإنسان فى الصباح . إذا إدخر الإنسان فى الليل ماء فى حلة . المشكلة كلها أن غسل الوجه بالكوز لا يصلح إلا إذا كان هناك من يصب عليك ماء الكوز . وهذا سهل فى الريف حيث يوجد كثيرون على استعداد للتعاون . ولكن الأمر يدق كما لاحظ الفقهاء فى لمدن .. ومن الصعب على الإنسان أن يمسك الكوز بيد واحدة ويغسل وجهه باليد الثانية . لأن الإنسان يحتاج أن يمسك الصابونة بيديه الاثنتين . فكيف يمسك الصابونة بيديه ؟ ومن أين يحضر الإنسان يدا ثالثة يمسك بها الكوز ؟

لا يجب أن نيأس . لنفكر معا فى حل هذه المشكلة العسيرة . إن المشكلة كلها تكمن فى البداية . وكل شىء صعب فى بدايته . وتتركز المشكلة فى أن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بترغية الصابونة ويداه جافتان . ويقترح الحاج حنفى أن يغمس الإنسان يديه معا فى ماء الكوز ثم يرغى الصابونة ثم يمسك الكوز بيد ويغسل وجهه باليد الثانية . ثم ينقل الكوز إلى يده الثانية ويغسل جزء وجهه الآخر . وهذا الحل رغم صعوبته هو الحل المتاح بإمكانيات العقل البشرى المنهك . ويقترح بعض العلماء حلا أسهل من هذا الحل وأسرع . يمسك الإنسان الكوز ويطس وجهه بالمياه .. ثم يرغى الصابونة . ويطس وجهه مرة ثانية .. وربما إبتلت الملابس فيستحسن أن يخلع الإنسان ملابسه ويقوم بهذه الطقوس وهو كما ولدته أمه . ثم يرتدى ملابسه بعد أن يجفف جسمه .. ألم نقل أن كل شيء يتجه نحو راحة الإنسان ..

الوعـى السيـاحى وعلاقـته بالتاكسى !

حين يئس أحد أصدقائى من إيقاف التاكسى . وأيقن أنه سيقضى عمره كله يشير للتاكسيات فلا تقف . أو يجرى وراءها متوسلا راجيا والتاكسى يهز رفارفه متباعدا نائيا . حين حدث هذا لصديقى وأطبق عليه الهم والضيق . وأدركه القنوط والفشل . ذهب إلى ترزى عربى وقال له : أرجو أن تفصل لى جلبابا سعوديا أو كويتيا . وكان يلبس الجلباب بعد أن يخرج من عمله فوق البدلة . ويقف فى الطريق فتسرع نحوه التاكسيات من كل حدب وصوب . عندئذ كان يختار من بينها تاكسيا جديدا . ويقول للسائق ... أبغى شبرا .

وترجمتها الحرفية (عاوز أروح شبرا) .. ويسرع التاكسى إلى شبرا صاغرا ملبيا . فإذا وصل الزبون إلى بيته نظر فى العداد وأعطى السائق مارآه مكتوبا . فإذا احتج سائق التاكسى وطالب بجنيه كبقشيش . خرج صاحبى عن صمته وتكلم باللغة المصرية كلام أولاد البلد . أو خلع الجلباب فظهرت من تحته البدلة . هنالك يصاب سائق التاكسى بإغماء . أو يشد شعره من الغيظ . أو يتشاجر قليلا حتى يوجعه قلبه وينصرف لاعنا ساخطا . وهذا الموقف الذى حكيناه يؤكد أمرين .. الأمر الأول أن معظم التاكسيات فى مصر بلا خلاق (والمقصود بالخلاق هنا هو العداد) الأمر الثانى : أن الناس فى مصر بلا سواح ..

وسر قلة السائحين فى مصر معروف للكافة . باستثناء الوزارة المختصة بالسائحين تطبيقا للمثل الذى يقول «إن الزوج آخر من يعلم» .. إن قلة السائحين فى مصر ترجع الى أكثر من سبب . إن فينا من يتعامل مع السائحين بمنطق التهليب لا بمنطق السياحة . فكيلو الأرز يباع بثمانية قروش للمصرى ويباع بخمسين قرشا للسائح . والتاكسى يريد جنيها كبقشيش . والمغالاة فى أسعار الشقق المفروشة صارت ظاهرة عامة . وتأخر الجمارك فى تسليم السائحين ما شحنوه معهم من حاجات بلادهم مسئول عن ضيقهم . وأخبار الخمر التى حرمت على المصريين وأحلت فى الفنادق السياحية فهمت خطأ . فقد تصور بعض السائحين أنها حرمت عليهم وأحلت للمصريين . واجتمعت أسباب كثيرة تنبع من قلة الوعى السياحى لتضيف أبعادها إلى الأزمة ..

رغم افتقادنا إلى الوعى السياحى . إلا أننا بحمد الله واعون كل الوعى للاستفادة من قلة وعينا السياحى ..

وهكذا ارتدى بعضنا الجلاليب وأوقفوا التاكسيات وحلوا أزمة المواصلات وأزمة السياحة معا .. وليس بعد هذا الوعى وعى ..

يكفـى ظلمـا للمـلاك

أجاز مشروع قانون الإسكان الجديد للمالك حق طرد الساكن إذا أصيب المالك بمرض القلب . أو إذا لم يدفع الساكن ثمن المياه . والحقيقة أن القانون يجامل السكان على حساب الملاك . والحقيقة أيضا أن الملاك مظلومون . ويكفى تعبهم من أجلنا وبناء عماراتهم لإسكاننا وبعزقة نقودهم علينا . يكفى هذا كله تضحية من جانبهم . ونحن لا نحب الظلم . والمشروع المقترح يظلم الملاك ولهذا نقترح تعديل الأسباب التى يحق للمالك أن يطرد فيها الساكن على النحو التالى : يحق للمالك طرد الساكن فى الحالات التالية :

(١) إذا سار الساكن أكثر من القدر المعقول فى شقته . ويعتبر القدر المعقول هو الذهاب والعودة مرة واحدة فى كل حجرة على حدة . لأن كثرة سير السكان ــ عليهم اللعنة ــ تجعل بلاط الأرضية يذوب . ويكفى احتمال الملاك للسكان وسماحهم لهم بالسكن .

(٢) إذا عطس الساكن فى شقته أو أصيب بالانفلونزا . لأن كثرة العطس تؤدى إلى التأثير فى متانة العقار ، وتؤدى مع الوقت إلى خلخلة الجدران والبنيان . إلى جوار ما ينقله العطس من أمراض .

(٣) إذا كان الساكن ثقيل الدم جاز للمالك طرده . ويكون الساكن ثقيل

الدم فى الحالات التالية : (١) إذا كان يرتدى فانلة بنصف كم . ويطل نصف كمها من القميص .

(٤) إذا كان يرتدى نظارة طبية أو شمسية ، وحكمة طرد السكان الذين يرتدون نظارة طبية أنهم يمكن ـ إذا خلعوا النظارة ـ أن يتخبطوا داخل الشقة فيكسرون لوحا زجاجيا أو بابا . أما حكمة طرد السكان الذين يرتدون نظارة شمسية فتتمثل فى أن هذه النظارة تخفى مشاعرهم تجاه الملاك . ومن أخفى مشاعره عن المالك استحق ألا يعطيه المالك شقته .

(٥) يحق للمالك طرد الساكن إذا طبخ أو غرف وكانت رائحة التقلية ثقيلة . لأن هذا يساعد على تلويث البيئة العقارية ..

(٦) يجوز للمالك طرد الساكن إذا كبر فى السن أو شاب شعره أو تخلخلت ركبه . لأن منظر السكان العواجيز يجرح المنظر الطبيعى للعمارة . ويعتبر إساءة بالغة لاستخدام العقار ..

(٧) يجوز للمالك طرد الساكن فى جميع الحالات الأخرى التى لم يوردها القانون . بشرط أن يكتب المالك خطابا مسجلا للساكن يقول فيه : إنه يخشى أن يصاب بأمراض القلب لو ظل الساكن ساكنا .

بهذه المواد السبع . نكون قد قلمنا أظافر السكان وأنصفنا الملاك من ظلم الإنسان لأخيه الإنسان .

منشــور انتخــابى لمرشــح ! !

أيها الناخبون الأبطال ، إننى أحييكم وأقول لكم . لقد توكلت على الله ورشحت نفسى لخدمتكم ، إذ صعبتم علىَّ لأنكم لا تخدمون أنفسكم ولا تعرفون مصلحتكم .. ورأيت أن واجبى يحتم علىَّ لزاما حزاما أن أنوب عنكم وأمثلكم ، وأنا ممثل قديم ولكنها الظروف والجوابات ، ومبدئى واضح وهدفى معروف ، ولن أتحدث عن مبادئى وأهدافى لأنها مشهورة ومعروفة . ولكى أحدد موقفى أكثر فسوف أقول إن مبدئى وهدفى : هو مبدؤكم وهدفكم .. أى أننى بلا مبدأ ولا أهداف . وعدم وجود أهداف أفضل من الهزيمة . التعادل فى الكرة أفضل من الأهداف . نستبعد الأهداف لنتحدث قليلا عما أنوى عمله عندما تعطونى ثقتكم وأصواتكم .

إذا نجحت فسوف أصرف لكل واحد من الناخبين صورة عليها توقيعى وقبلاتى ، وربما يقولون ماذا يفعل بالصورة وسوف أقول لكم إن العين بصيرة واليد قصيرة وكل أناء ينضح بما فيه والجود من الموجود ، لعلكم لاحظتم أن أسلوبى الأدبى هو نفس أسلوبكم ، وهذا شرف كبير أعتز به وإن كنت لا أستفيد منه ..

لو نجحت فسوف أعمل عمايل وأسوى الهوايل وأحل جميع المشكلات وأذيب جميع التناقضات وأحيى جميع الإرهاصات وأقول للصحف إن التعلب فات فات وفى ديله سبع لفات ..

نعم .. هذا ما سأعمله ، ولن أتحدث أكثر من ذلك لأننى أعد لكم مفاجأة ، وهى مفاجأة خطيرة ، ورغم أننى أجاهد لأمسك لسانى فلا أقولها إلا أننى أتوكل على الله وأقولها . إذا نجحت فى الانتخابات فسوف أطالب بتوفير الخل لجميع المواطنين وسأطالب بخفض سعر الخل وإغراق الأسواق به . وسأطالب بأن يكون الخل كالماء والهواء مجانا .. والخل قضية مطروحة وعاجلة . لأن الفتة لا تصلح بغير الثوم والخل . فإذا بدأنا بالخل .. فنحن فى طريق طائر البطريق ، وعلى مسار النهار والانبهار ، وسوف أعمل من أجلكم أناء الليل وأطراف النهار ، وسوف أجاهد فى سبيلكم كما جاهدت بغير استقرار . لقد كنا نجلس فى مقهى الأحرار ونجاهد فى سبيل الثوار . وكنا ننهزم فى الطاولة فلا نيأس ونقول غدا نكمل المشوار .. أيها الناخبون الأبطال .. إن الدنيا مليئة بالأرطال والكيلو .. فارفعونى على أكتافكم وشيلو .. ولنهتف معا .. عاش مرشحنا الوحيد .

الانتخـابات والـرش

هو مرشح فى دائرة ما .. نسميها الدائرة «س» أو «ص» .. وهو يقرأ ويكتب بصعوبة بالغة . وهو يعتقد أن التفكير ضار بالهضم . وهو لم يسمع عن كلمة شكسبير ، ولو قلتها أمامه لخمن تخمينا أنك تعنى الشيخ سفير . وربما تصور أن الشيخ سفير هذا تاجر راديونات فى دولة عربية . هذا المرشح الذكى غنى ، وهو الغنى الوحيد الذى لا تعرف مصلحة الضرائب شيئا عن ثروته ، فقد أكرمه الحظ ـ والدنيا حظوظ ـ فتاجر فى المخدرات زمنا ثم تاب الله عليه بعد أن جمع مئات الألوف . وهو رجل صاحب مزاج ، وهو يفهم فى السياسة فقد سمع عن الاتحاد الاشتراكى وعن الاختلالية [يقصد الاستغلالية] ، وهو يتفرج على تليفزيون ترانزستور صغير ، وعنده تليفزيون ملون اشتراه على أنه ملون واتضح أنهم ضحكوا عليه ، ولا أحد يدرى غير الله السر الذى دفع هذا المرشح إلى ترشيح نفسه فى الانتخابات ..

لقد صعدت الفكرة فى دماغه فجأة ..

استيقظ من النوم فاستدعى أحد مساعديه البارزين أيام الشقاوة والمخدرات ، وأفهمه فى بطء وتصميم أنه قد قرر ترشيح نفسه فى الانتخابات ، وحين راجعه صديقه وحاول أن يثنيه عن الفكرة وقف فى وسط الغرفة وأقسم يمينا بالطلاق ثلاثا أنه سيرشح نفسه . وقد كان ..

وبدأ الرش .. مطر من النقود والدعاية والإكرام والطعام والمزاج ..

ومساعدات للفقراء والأرامل واليتامى ، وميكروفونات تدوى وطبل وزمر ورقص وهتاف وجو وورد ..

والنقود التى جاءت من المخدرات تأخذها الريح الآن .. مأساة تستدعى الذعر أن يفكر المرء فى نجاح مثل هذا المرشح ..

نريد أن ندقق كثيرا فى اختيار من يمثلنا فى مجلس الشعب ..

نريد أن نختار المتعلمين فهم أقدر على التشريع وخدمة البلد .

نريد أن نختار أصحاب المواقف والقضايا .. حراس الشريعة والحقيقة .

نريد أن نقف ضد الذين ينفقون بسخاء .. إن هذا يستدعى الريبة من أين جاءوا بكل هذه النقود .. لقد جاءوا بها من استغفال الناس بشكل أو بآخر . وسيعودون إلى استرداد هذه النقود ـ لا قدر الله لو نجحوا ـ من استغفال الناس بشكل أو بآخر .

نريد أن ننتخب أصحاب العلم والفضل والمواقف ..

نحن فى عرضكم فلا تنتخبوا هذه التحف من المساطيل والمهاطيل .

المقالة البحرية

صخرة متأبدة موحشة على شاطئ شارع .. الشارع بحر من الأوتوبيس والترولل والملاكى والتاكسى والكارو وعربات اليد والحمير والبغال والمارة والسابلة ..

الشاطر حسن يقف على صخرة المحطة فى انتظار الحوت الأوتوبيس . وفى نفسه حلم جميل بأن يبتلعه الحوت ويسير به فى البحر . ثم يقذف به على الصخرة المطلوبة ..

السباحة فى أعالى البحار شاقة . عواصف الموج وتيارات القاع والسطح ورياح الشمال والجنوب وهذا الهياج الجامح للموج . ولابد لأى ربان يمخر أعالى البحار من خبرة وتجربة ومران .. وكذلك السباحة فى أعالى الشوارع . على السطح الأسفلتى الأسود المبقع بغطيان البيبسى والكوكا تجرى أسماك متوحشه زرقاء وبيضاء تتدلى منها عدادات التاكسى . وتجرى أسماك صغيرة تجر أسماكًا كالبسارية فى يدها وهى تعبر البحر . وهناك عربة أسماك يجرها حمار . والحمار يتوقف فجأة فى البحر . هاهو الحوت الأحمر المخيف يأتى مسرعًا بعد أن معك جوانبه فى قيعان المحيط والسيارات الواقفة ..

توقف حوت الأوتوبيس أمام سمكة الحمار ..

عجيبة قوانين المحيط الهادر .. سمكة حمار توقف حوتًا أو أوتوبيس وتجعله يفرمل ويصرخ .. تصدق الأمثال العامية فى البحر وهاهى النواية تسند

الزير . أسفرت الأمواج عن حركة بطيئة بعد أن أنارت إحدى الصخور ضوءاً أخضر ..

ما زال الشاطر حسن يقف على الصخرة . اندفعت هبة من رياح الشمال المحملة بثلوج العرق وأرسى الحوت عظامه على رصيف الصخرة المتكسرة . تلوت أمعاء الحوت وتقلصت معدته وقذف من جوفه موجة من البشر المفرهد المتعب المتخبط .. قفز الشاطر حسن بعد أن أخذ نفسا عميقاً وغاص .. الغوص اندفاع من أعلى إلى أسفل .. وهذا الغوص اندفاع من أسفل إلى أعلى . يتحرك الحوت وجانبه الأيمن يحتك بأسفلت المحيط ويطلق شراراً أحمر من الزبد . تخرج من فم الشاطر حسن فقاقيع هى الزفير . أما الشهيق فمستحيل تماما . تحركت العصارات الهاضمة فى معدة الحوت فصار الشاطر حسن كتلة هلامية تترجرج مع رجرجة الحوت والموج والرياح .

دكتـور جحـــا

حين كبر جحا وأدركته الشيخوخة قرر أن يشتغل حكيمًا . وهكذا فتح مؤسسة استشارية للعلاج . وكتب على اللافتة «دكتور جحا .. خريج معاهد الحياة ومدارسها» .. وبدأ يزاول نشاطه فى علاج المشاكل ..

وذات يوم ذهب إليه رجل تبدو عليه التعاسة . قال الرجل : يا جحا .. أنا مرهق جدا وأريد أن تعالج مشكلتى .. جلس جحا بوقار وسأل : ما هى مشكلتك قال الرجل : أعيش مع زوجتى وأمى وثمانية أولاد وحمار فى غرفة واحدة . وقد ضقت ذرعًا بنهيق الحمار وصراخ العيال والمعارك الحامية بين أمى وزوجتى .. ماذا أفعل ؟

فكر جحا طويلاً ثم قال : اذهب واشتر كلبًا وضعه معكم فى الغرفة .. ذهب الرجل وغاب أسبوعًا ثم عاد .. قال لجحا : يا جحا .. لقد زادت مشاكلى بهذا الكلب الجديد . إنه ينبح . والحمار ينهق . والأولاد يتشاجرون .. ماذا أفعل ؟ فكر جحا طويلاً ثم قال : اذهب إلى السوق واشتر خمس دجاجات وضعها معكم فى الغرفة . وتعال لزيارتى بعد أسبوع ..

فعل الرجل ما طلبه جحا وعاد لزيارته بعد أسبوع . سأله جحا : كيف الحال ؟ قال الرجل : أصبحت الحياة لا تطاق .. إن الكلب ينبح . والحمار ينهق . والأولاد يتصايحون . والدجاج يقفز فى الغرفة .. ماذا أفعل :

فكر جحا طويلاً ثم قال للرجل : اذهب إلى السوق واشتر بغلاً لطيفًا

وضعه معكم فى الغرفة . ثم تعال لزيارتى بعد أسبوع .. ذهب الرجل وغاب شهرًا كاملاً .. وحين جاء لزيارة جحا كان يجرر أقدامه من التعب . سأله جحا : كيف حالك ؟ قال الرجل : الحياة لا تطاق يا جحا . سأله جحا : لماذا ؟ قال الرجل : أسكن مع زوجتى وأمى وثمانية أولاد وكلب وخمس دجاجات وبغل فى غرفة واحدة .. ماذا أفعل يا جحا ؟

قال جحا : اذهب إلى السوق وبع البغل . وتعال لزيارتى ..

فعل الرجل ما طلبه جحا وعاد .. سأله جحا : كيف الحال قال : مازال الحال صعبًا يا جحا .. قال جحا : اذهب إلى السوق وبع الفراخ وتعال بعد أسبوع .. فعل الرجل ما طلبه جحا وعاد لزيارته .. فلما سأله جحا عن حالته وهل تحسنت ببيع الدجاج قال الرجل إنها تحسنت ولكنه مازال يحس بالتعب . وهنا قال جحا : افتح الباب واطلق سراح الكلب وتعال بعد أسبوع لتحدثنى عن حالك .

بعد أسبوع جاء الرجل سعيدًا مستبشرًا فسأله جحا : كيف حالك ؟ قال الرجل : الحمد لله يا جحا .. لقد تحسنت الحال كثيرًا .. وهذا بفضل علاجك الحكيم .. أشكرك يا جحا .. قال جحا : العفو !

الباشا والقبقاب

فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان يحكى أن صديقا قال لصديقه وهو يعاتبه : كيف تكون إنسانا راقيا محترما غنيا عظيم الشأن ويكون لك صديق خسيس مهزأ فقير المشاعر ضئيل الشأن .. وفكر الصديق طويلا ثم قال : ياصاحبى .. إن الباشا لا يستغنى عن القبقاب إذا أراد دخول الحمام ..

قال صاحبه بعد تفكير قصير : صدقت ..

ومرت الأيام ودارت الأيام وتناقل الناس هذه الكلمة كأنها حكمة ذائعة . أخيرا وصلت الكلمة إلى الباشا .. وجلس الباشا يفكر .. لقد صار قبقابه مضغة فى أفواه الناس ومدارا لحديثهم .. وأصدر الباشا أمره إلى الأغا أن يحضر القبقاب فأحضره .. قال الباشا : يا أغا .. إن الناس تتحدث عن قبقابى .. وأنا أريدك أن تذهب وتلقيه فى البحر .. سوف أستغنى تماما عن القبقاب .

قال الأغا للباشا : كيف يستغنى مولاى الباشا عن القبقاب ؟ ماذا يفعل إذا أراد دخول الحمام ؟ . إن هذا يعنى أن قدمى سعادتك ستبتلان بالماء والنجاسة . وربما تزحلقت سعادتك .. إن القبقام لازم يا صاحب السعادة .

قال الباشا : اخرس يا أغا . نفذ ما أمرتك به ولا تناقشنى فى الأمر . قال الأغا : خادمك المطيع عليه السمع والطاعة .. وأسرع الأغا بالقبقاب إلى البحر . ولكنه فكر أن يخبئه لأن الباشا متقلب وربما رجع عن كلامه . ولكنه

خشى أن يعصى الباشا فألقى القبقاب فى البحر فعام على سطح الماء .. وعاد إلى الباشا الذى دخل إلى الحمام فتزحلق فوقع بكل ثقله على يده فانكسرت ..

تم تجبيس يد الباشا الذى سأل الأغا : أين القبقاب . قال الأغا : ألقيته فى البحر كما أمرت سعادتك .. ولكنه لم يغرق .. قال الباشا : اذهب إلى البحر وأعده إلى الحمام .

وفكر الباشا وهو يشرب العرق فى هذه الليلة ويتحسس شاربه المصبوغ أن القبقاب لا غنى عنه فعلا .. ثم إنه فكر أن الإنسان إذا ألقى نفسه فى البحر غرق ولكن القبقاب يعوم . وزاد إحساس الباشا بأهمية القبقاب . وترك الناس يتحدثون عنه بلا حرج .

قصـة مدهشـة

قرأت هذه القصة فى كتاب بالانجليزية عن التصوف لنمؤلف إدريس شاه . والقصة منسوبة للسهروردى .. تقول لقصة إنه فى قديم الزمان عاشت فتاة جميلة وكان أبوها رجلا طيبا وكانت الفتاة قمراً بين النساء نادرة فى لطفها ورقة طبعها . جاءها فى سن الزواج ثلاثة رجال كل واحد منهم أحسن من أخيه . وطلب الثلاثة يدها . ولما كانوا متقاربين فى المواهب والفضائل . فقد ترك الأب لها مسئولية الاختيار . ومرت الشهور والفتاة لا تقول شيئا .. كان واضحا أنها لم تستقر على رأى ..

وفى يوم حزين من الأيام سقطت الفتاة مريضة . وخلال ساعات ماتت .. ودفنت وسط صمت فاجع مدهوش . أحد الرجال الثلاثة جعل من قبرها سكنا له . وعاش فى قبرها حزينا يتأمل . الرجل الثانى خرج من ثروته إلى الطرق وبدأ يتجول فى الأرض بحثا عن المعرفة . كان موتها بالنسبة له نقطة تحول خطير . أما الرجل الثالث فقد ذهب إلى أبيها وعاش يواسيه ويخفف عنه ويخدمه ..

سار الرجل السائح فى الدنيا حتى وصل إلى حكيم غامض فطلب مقابلته ودخل عليه . ودعاه الحكيم إلى العشاء فقبل الدعوة . ومضغ الطعام على المائدة فبكى طفل صغير فى الغرفة . كان هذا الطفل حفيد الرجل الحكيم . ونهض الرجل الحكيم فأمسك الطفل وألقاه فى نار المدفأة . فقفز الرجل

السائح مرعوبا وهو يحتج على هذه الجريمة النكراء . وتهيأ لمغادرة الغرفة والانصراف . وقال الحكيم وهو يبتسم : لا تشغل بالك ولا تنزعج . هذا شيء بسيط ولكنه يظهر شيئا كبيراً فى غياب المعرفة ..

بعد هذه الكلمات قرأ الحكيم شيئا يشبه التعويذة وأمر حفيده الطفل أن يخرج من النار . وخرج الطفل سليما لم يمس . وحفظ الرجل هذه التعويذة وتناول عشاءه وانصرف من فوره عائدا إلى بلاده . ذهب إلى قبر حبيبته وقرأ عليها التعويذة فخرجت من القبر تفرك عينيها كأنها كانت نائمة .

توجهت الفتاة إلى بيت أبيها وعاد الثلاثة الذين يطلبون يدها لطلب يدها .. تنازعوا من منهم يستحقها .. قال الأول : لقد عشت فى قبرها . متصلا بها بفكرى طوال الوقت ملاحظا حاجات روحها لأى عون أرضى .

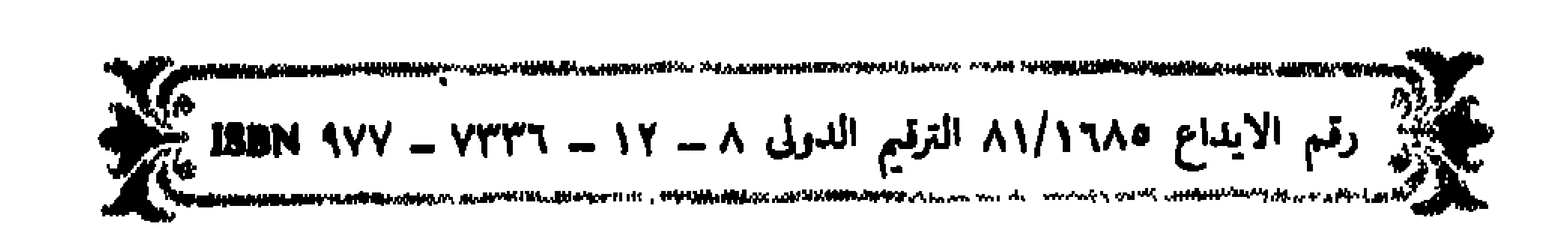
وقال الثانى : إنكم تنكرون حقيقة سياحتى فى العالم بحثا عن المعرفة . ولولا هذه المعرفة ما عادت إلى الحياة . أنا الذى أعدتها للحياة .

وقال الثالث : لقد واسيت والدها كإبن ، وخدمته وعاونته وعشت معه طوال هذا الوقت ..

واختلف الثلاثة . ورفعوا أمرهم للفتاة لتحكم بينهم .. ماذا تظن أن الفتاة قالت تحدثت الفتاة أخيرا فقالت : الذى عثر على التعويذة التى أعادتنى إلى الحياة حكيم إنسانى . والذى خدم أبى كان يتصرف كإبن له وأخ لى . أما الذى رقد فى قبرى وعاش فيه فقد تصرف كعاشق .. وهذا هو الذى سأتزوجه ..

يرمز الصوفية بهذه القصة إلى أن الحقيقة لا تمنح نفسها لمن يسبح فى الأرض بهدف المعرفة . ولا لمن يخدم فى الزوايا كإبن - وإنما تمنح الحقيقة نفسها للعاشق ..

أليست قصة مدهشة .



رقم الايداع ٨١/١٦٨٥ الترقيم الدولى ٨ – ١٢ – ٧٣٣٦ – ٩٧٧ ISBN

مطابع الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف : ٧٥٤٣١٤ ـ برقيا : شروق القاهرة ـ تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ برقيا : داشروق ـ تلكس : SHOROK 20175 LE

هــذا الكتـــاب بصـــراحة ..

- يعتقد بعض الناس أنى كاتب ساخر . وأن دمى خفيف . وبينى وبينكم ـ وهذا الكلام سر ـ أرى نفسى ثقيل الدم كالضربة . ولا أكاد أطق نفسى، إذا جلست معها وحدى .

- كيف أكون ثقيل الدم ويصدر منى ما يراه الناس معبرا عن خفة الدم ؟ هذا هو سؤال الصديق المسرحى هاملت .

الجواب بسيط .. أنا مصرى الأصل . والمصريون قوم يجرى فى عروقهم دم فيه نسبة من الشربات . وفى أغانينا الشعبية أن الذى بنى مصر كان فى الأصل حلوانيا .. ورغم الفقر والهموم والمعاناة . ترانا نزحزح أعتى جبال الهموم بنكتة أو ضحكة أو ابتسامة ! !

- وبوصفى مصريا . أسكن فى مصر وأعيش مع المصريين وأستمع إليهم وأتأمل أسلوبهم وأتأثر بهم وأتعلم منهم وأنقل عنهم . فإذا جلست أكتب عبَّرت عن نفسى بطريقتهم . فيجىء الكلام خفيف الدم وهو صادر من ضربة ثقيلة . ولقد قيل إن الكاتب ليس هو الذى يؤكد شخصيته بالكتابة . إنما هو الذى يتنازل عنها بالكتابة . وهذا ما أفعله بالتحديد . أنا كاتب بلا شخصية . شخصيتى هى الناس . أليس ذكاء أن آخذ من الناس خفة دمهم محا[...]
لهم فى كتاب بعد ذلك ؟ هل هذا ذكاء أم احتيال ؟ بصراحة ..

- إذا تجاوزنا أن الكتاب ملطوش من المصريين فإليكم المفاجأة التا[...]
ملطوش هو الآخر من الكاتب المصرى الساخر إبراهيم المازنى ..
ذلك عمى الكبير فى القرابة الأدبية ..

أحمد بهـ[...]

